مجلة جامعة الملك سعود، م١٩، العمارة والتخطيط (١)، ص ص ١٨١-٢٣٠ (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)

دراسة البيئة العمرانية التقليدية من خلال الشعر العامي بمنطقة نجد

مساعد بن عبدالله السدحان

قسم العمارة وعلوم البناء، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض ، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ١٤٢٥/١٢/٢٥هـ ، وقبل للنشر في ١٤٢٦/٤/١٧هـ)

ملخص الدراسة. يعتبر البحث في البيئة العمرانية التقليدية بصفة عامة من الموضوعات المهمة للمعماريين والمخططين. ومن البيئات المحددة التي حضيت بالدراسة البيئة العمرانية التقليدية لمنطقة نجد في المملكة العربية السعودية، وقد ظهر ذلك على هيئة تقارير فنية للمهنيين من معماريين ومخططين، وعلى هيئة كتب أو رسائل علمية أو بحوث من أكاديميين متخصصين. و استفادت تلك المخرجات من وسائل مختلفة من فنون وعلوم أخرى، مثل الرفوعات المساحية من علم المساحة، والمسح البصري من فن التصوير الفوتوغرافي، كما استفاد بعضها من علم التاريخ المكتوب أو الشفوي.

هذه الدراسة تقترح الاستفادة من مصدر لم يستخدمه الباحثون في العمارة والتخطيط بشكل كبير لفهم البيئة العمرانية التقليدية وربطها بمحيطها الثقافي والاجتماعي بمنطقة نجد. هذا المصدر هو الشعر العامي، المكتوب منه والمحفوظ، وهو وثيقة متوارثة يمكن أن تكون رديفة ومكملة لما تقدمه المصادر الأخرى كالرفوعات الميدانية والمسوحات البصرية. فالشعر العامي أحد جوانب الأدب الشعبي، ينبع من صميم المجتمع ويستمد حياته من البيئة العامية. ولهذا فإنه تصوير ناطق لها، و يمثلها أصدق تمثيل، ويكشف عن جوانب خفية فيها، كما أنه ثري بالكلمات والعبارات التي تقود إلى البحث والتفصيل.

من خلال هذه الدراسة أمكن تصنيف البيئات العمرانية التقليدية في نجد حسب الظروف الزمانية لكل شاعر وعلاقتها بتلك البيئة، إلى أربع بيئات: الأولى منها تلك التي عاش فيها أهلها حياتهم كلها، والثانية تلك التي تذكرها أهلها بعد أن تقدم بهم العمر، وأصبحوا يعيشون في بيئات حديثة، أما الثالثة فهي البيئة التي هجرها أهلها إلى بيئة حديثة، والرابعة تلك التي طالتها يد التغيير أو الإزالة بسبب المخططات الحديثة. ويوفر هذا التصنيف فرصة لفهم خصائص العمارة التقليدية في منطقة نجد والتغيرات التي شهدتها.

تضيف هذه الدراسة لبنة في مجال الدراسات التخصصية في العمارة والتخطيط، وتوظف في ذلك الأدب الشعبي بمعطياته المختلفة من شعر، وأمثال، وقصص، وحكايات، في منطقة نجد. ويشجع ذلك الباحثين فيها على الكشف عن خصائص تلك البيئات العمرانية التقليدية المختلفة، عن طريق الأدب الشعبي بصفة عامة و الشعر العامي بصفة خاصة ليكون رافداً للوسائل الأخرى ومكملاً لها. كما يساهم ذلك في دراسة البيئات العمرانية التقليدية لتأخذ حقها من التوثيق، والتحليل، والاستنباط خدمة لهذا الجيل والأجيال القادمة.

المقدمة

تهتم هذه الدراسة بالتعرف على جوانب من البيئة العمرانية التقليدية في منطقة نجد عن طريق الشعر العامي. ويقصد بالبيئة العمرانية التقليدية المنشآت مثل المباني، والطرقات، والمزارع وعلاقة الإنسان بها والتي هي نتاج لجذور تاريخية ذات تواصل تمّ فيها ومن خلالها تناقل العلوم والخبرات. ولا يمكن تحديد البداية الزمنية لها، لكن نهايتها بدأت مع ظهور البيئات العمرانية الحديثة. و قام العديد من الباحثين في العمارة التقليدية بدراسة أمثلة لها عن طريق عمل الرسومات المعمارية ، ورفع الأجزاء المتبقية منها.

و الشعر العامي ينبع من صميم المجتمع ويستمد حياته من البيئة العامية، ولهذا فإنه يمثلها أصدق تمثيل، لكنه لا يتقيد بأوزان الشعر العربي الفصيح وبحوره، كما أنه لم يتقيد بقواعد اللغة العربية النحوية والإملائية والعروضية. ومن العسير على الدارس لهذا الشعر

أن يفهم معانيه مالم يقرأه قراءة صحيحة بلهجته الخاصة وذلك بسبب استقلال كل ناحية بعامية خاصة [١ ، ص١٧١]. ويرى (الحامد) أن ظهور الشعر الفصيح قد تأخر في نجد عن ظهور الدعوة الإصلاحية، و أن الأمية اللغوية والفكرية جعلت الشعراء البارعين يظهرون على مسرح الشعر العامي، دون الشعر الفصيح ؛كمحمد القاضي وابن جعيثن، والهزاني، وابن لعبون، ونحوهم من الشعراء الكبار الذين غذتهم نجد بلبانها، وطبعتهم بصحرائها [٢ ، ص ٩].

ويتفق الكثير من الباحثين وأهل اللغة على قبول الشعر العامي قبل انتشار التعليم في مناطق المملكة، لكنهم يختلفون في تشجيع المعاصر منه، وقد دارت الكثير من المناقشات الفكرية حول الشعر العامي المعاصر مابين مؤيد ومعارض له وليس هنا مجال التأييد المطلق أو الرفض. ولقد توسع (الصويان) في تقصي دوافع المقولات التي ترفض الشعر العامي وهي الدينية أو القومية أو السياسية أو النخبوية. لكنه نقض تلك المقولات بسبب الأسس المنطقية الخاطئة والمنهجية التي بنيت عليها. وفي معرض نقضه لتلك المقولات أكد أنه: " لو أن دراسة فنون القول و الآداب الشعبية واللهجات المحلية سوف تؤدي إلى أي من النتائج الوخيمة التي تحذر منها المقولات لكان من المؤكد أن أي عالم شريف أو مفكر حر لن يقبل على اقتحام هذا المجال" [٣، ص ١٥].

ولهذا فإن من الممكن النظر إلى الشعر العامي على أنه أحد الموروثات الشعبية ضمن الأدب الشعبي التي يمكن أن يسهم في تصوير البيئة العمرانية التقليدية بمنطقة نجد وفهم خصائصها وربطها بالمحيط الثقافي والاجتماعي لأهلها. ولقد ربط كلٌ من أفلاطون ومن بعده أرسطو بين عمل الشاعر في الصورة الشعرية وعمل الرسام في الصورة المرسومة وروي عن سيمونيدس قوله:"الرسم شعر صامت.. والشعر تصوير ناطق"، ثم أكد الجاحظ ذلك وأضاف بأن الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصور[٤ ،

ص٣٠٨]. وتتفوق الصورة الذهنية الشعرية على الصورة المرسومة حيث تقوم على العناصر المرئية، والمسموعة، والملموسة، والمعاشة أما المرسومة فتقوم على العناصر المرئية فقط. والصورة الشعرية مخلوطة بالخيال ومتحركة، بعكس الصورة المرسومة الجامدة وكلاهما متمم للآخر.

أهمية الشعر العامي لدراسة العمارة التقليدية

للشعر العامي- بأغراضه المختلفة - محبوه ومتذوقوه، و يرى (السويداء) [٥، ص٢٢٢] أن الناظر بإنصاف وتمعن للشعر الشعبي يجد له العديد من الخصائص الفنية، كما في الشعر الفصيح، من قوة في السبك، والتزام بالقافية، وبلاغة التعبير، ودقة الوصف، وعمق المعاني، وحيوية الصورة، والتأثير على السامع، والموسيقى الشعرية. كما أن الشعراء الشعبيين تطرقوا لمختلف الأغراض التي خاضها شعراء الفصحى. وتزخر القطع الشعرية بعدد كبير من الألفاظ والمفاهيم، وتتضمن منظومات معرفية في العمارة والعمران. وحول هذا يقول (الظاهري): " ...حسبي إيجاز القول بأن لنا من الشعر العامي عائدتين: إحداهما نفعية والأخرى جمالية. فأما العائدة النفعية فتتعلق بالدلالة التاريخية واللغوية والبيئية وكل شاردة أو واردة من دلالة الشعر العامي تؤرخ لجزيرتنا في عصور العامية..." [٦، ص٦]. ولقد أشار (الجاسر) لذلك إذ يقول عن الشعر العامي: "...أرى فيه أشياء أخرى، وأرى فيه أنه مظهر واضح لعاداتنا وتقاليدنا، وأرى فيه أنه سجل لكثير من تعابيرنا ولهجاتنا، وأرى فيه أنه قد يوضح لنا في كثير من الأحوال بعض الحقائق التاريخية..." [٧، ١٣] . وبصفة عامة فإن هناك نظرة عالمية لهذا النوع من الأدب من قبل أصحاب الاتجاه الأنثروبولوجي ينظرون إليه على أنه ليس إبداع فني بل هو أيضاً وثيقة تاريخية إثنوغرافية، خصوصاً في المجتمعات التي لا تملك وثائق مكتوبة [٣، ٣٤].

ولهذا فقد أدرك الباحثون أهمية الاستفادة من الأدب الشعبي بصفة عامة ؛ ومن الرواد في ذلك (صالح) في كتابه الأدب الشعبي [٨] الذي نشره قبل ما يقرب من خمسين عاماً دعا فيه إلى جمع المأثورات وتسجيلها وقدم دراساته للحياة الاجتماعية في مصر، مصوراً العادات والزواج والميلاد والوفاة والآداب الاجتماعية، معتمداً في ذلك بشكل رئيس على الموروث من الأدب الشعبي وخاصة الشعر والأمثال العامية. وفي نطاق منطقة نجد- موضوع الدراسة- نلاحظ أن (الجنيدل) استفاد من الشعر العامي في تقديم صورة للأساليب الزراعية التقليدية وأدواتها في كتاب الساني والسانية (١٩٨٨م) [٩]. وبالمثل فقد وجدنا الشعر العامي شاهداً لدراسة صور من الحياة للمجتمع التقليدي في نجد في كتاب (العبودي)، مأثورات شعبية (١٩٨٢م) [١٠]، و استعان بأبيات من الشعر العامي لشرح الألفاظ العامية وطريقة استخدامها في معجمه الذي جمع فيه ألفاظاً اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت (٢٠٠٣م) [١١]. واستشهد (السليمان) بالشعر العامي في معجمه عن المواقع التاريخية للرياض (١٩٩٩م)[١٢]. ووظف (السدحان) الأمثال الشعبية لتقديم صورة للعمارة التقليدية والمفاهيم المصاحبة لها في منطقة نجد (٢٠٠٤م) [١٣].

و تبرز مشكلة الدراسة في نقص الوصف المسجل لما كانت عليه البيئة العمرانية التقليدية في منطقة نجد. ولقد بُذِلت العديد من الجهود لتوثيق ودراسة تلك البيئة ؛ واعتمدت معظم تلك الدراسات على المسوحات البصرية و الرفوعات الميدانية المساحية للمباني التقليدية فجاءت توثيقاً لعناصر مبنية ، وافتقدت الوصف الذي عاشه من عاش في تلك البيئة العمرانية بظروفها ومعطياتها الحية.

أما هدف الدراسة فيتركز في الحصول على معلومات عن البيئة العمرانية التقليدية في منطقة نجد من خلال الشعر العامي الذي حفظ لنا رواته ما ذكره شعراؤهم في عمارتهم وعمرانهم. كما تهدف إلى الكشف عن خصائص البيئات العمرانية التقليدية وربطها

بمحيطها الثقافي والاجتماعي و إبراز أوجه التغيرات فيها. ويقوم منهجها على الاعتماد على المصادر الموثّقة لتلك الأشعار عن طريق مراجعة الدواوين التي جمعت لأولئك الشعراء واستخلاص ما له علاقة بالعمارة، و الاستعانة بالرواة المعمرين لمراجعة النصوص وتصحيحها وشرح ما أشكل على الباحث من كلماتها، ومن ثم إثباتها مع شرح للكلمات والصور الذهنية ذات العلاقة بموضوع البحث كما سيأتي.

البيئة العمرانية التقليدية في منطقة نجد

نجد بفتح النون وسكون الجيم ما أرتفع عن الأرض، ومنطقة نجد - على أكثر الأقوال - هي تلك التي يحدها من الشمال الكويت وسواد العراق ومشارف الشام، ومن الجنوب الربع الخالي، ومن الشرق الأحساء، ومن الغرب جبال السروات [١٤، ص١٣]. وقد تعاقب عليها العديد من القبائل العدنانية والقحطانية منذ أكثر من خمسين قرناً من الزمان. و استقرت في وسطها من القبائل طسم وجديس وهزان الأولى، وعلى مشارفها الجنوبية عاد، وعلى مشارفها الشمالية والغربية ثمود التي تركزت في الحجر. وتلا ذلك استيطان القبائل الأخرى مثل طي وكنده[١٥، ص٦]. وقد ورد في الشعر الجاهلي أسماء الكثير من مدنها وقراها، مثل هَجر، الأجفر، أُثَالُ، ، أشِّيٍّ، أُضَاخ، إِبضَةُ، أُثَيْفِيَةُ، أُشَيْقِر، شَقْرَاءُ، الأَفلاج، البَرَّةُ، بِيْشَة، تُيمَاء، ثَادِق، جلاجل، مَنْفُوْحَة، الحائر، الزُّلْفِيُّ، أَلْغَاط (الشكل رقم ١). وقد احتفظت بعض تلك المدن بأسمائها، وتبدلت أسماء بعضها من نشوء مدن و بلدان أخرى مثل الدِّرْعِيَّةُ ، بُرَيْدَةْ، حَرْمَة، قَفَار، المَجْمَعة [١٦، ص٩- ١١٨]. ومع وجود تلك المدن فإن معظم نجد تغطيه الصحارى الشاسعة والهضاب والجبال والأودية، التي لها سحرها الخاص لدى الشعراء الذين تغنوا بها وتفننوا في وصفها وما حوته من نباتات جميلة، وهواء عليل ورمال ذهبية، بـــل

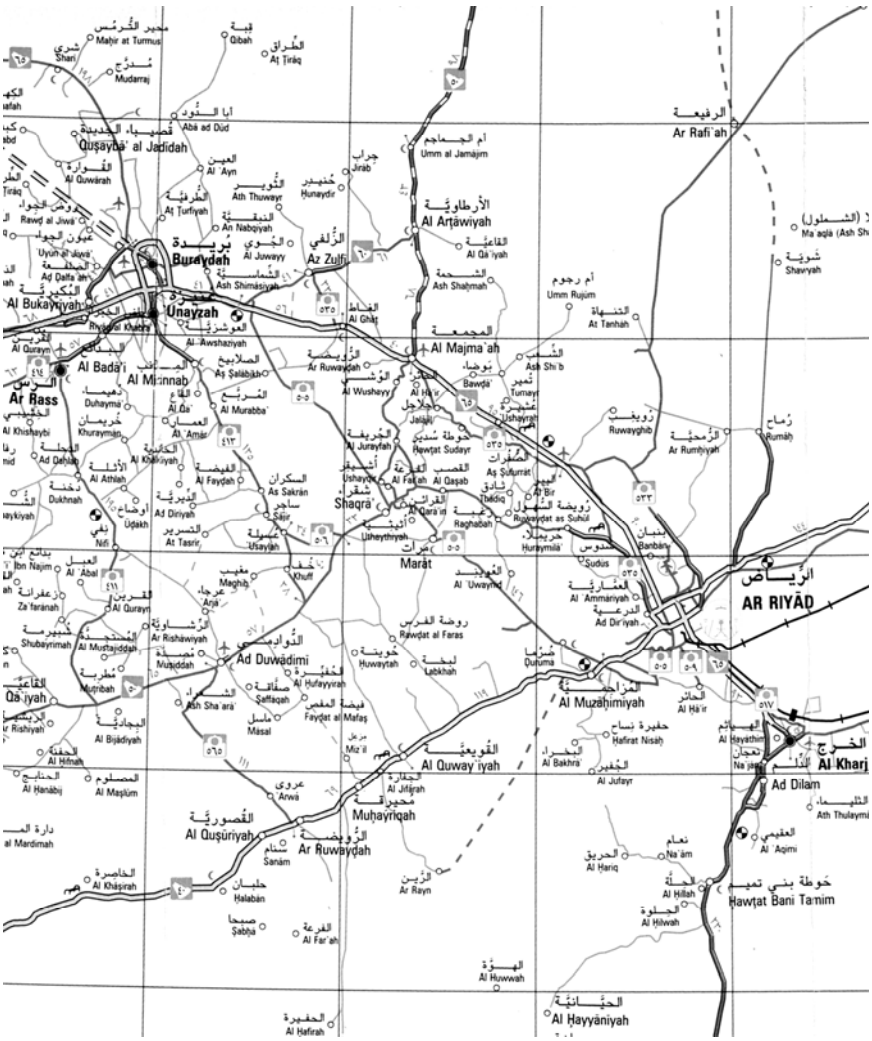

الشكل رقم (١). خارطة لأشهر مدن وبلدان منطقة نجد، منها مدن قديمة وردت في الشعر الجـاهلي مثل أُتَيفِيةُ ، أُشيقِر، شقْراءُ ، البرةُ نَادِق ، جلاجل ، منفُوحة ، الحائر ، الزلفِـي ، أُلغاط . وأخرى نشأت بعد ذلك مثل الدرعِيةُ ، بريدةْ ، حرمة ، المَجمعة .

(المصدر: وزارة النقل – المملكة العربية السعودية ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

وأصبحت مضرب المثل في ذلك. فالصِمَّة القُشَيري (المتوفى عام ٩٥هـ) يذكر نجد بقصيدة مشهورةٍ منها[١٧ ، ص٦٣]:

تمتع من شميم عرار نجدٍ فما بعد العشية من عرار

ولقد قام العديد من الباحثين بدراسة جوانب من البيئة العمرانية التقليدية في منطقة نجد من الناحية الوصفية، و نشرت تلك الدراسات عن طريق ثلاث وسائل هي ١- التقارير والكتب، ٢- الأبحاث المحكمة المنشورة في المجلات العلمية، ٣- الرسائل الجامعية. وسنعرض هنا لأمثلة من تلك الدراسات. وتعتبر التقارير التي قام بها الاستشاريون الذين كلفو بالعمل لمشاريع مختلفة لمنطقة الرياض من أوائل الدراسات الميدانية التي اهتمت بالتعرف على البيئة العمرانية بمنطقة نجد عامة ومدينة الرياض بصفة خاصة. ولقد قدم (دوكسيادس) في عام ١٩٧٠م. ضمن التقرير النهائي لدراسته التخطيطية لمدينة الرياض بعض الدراسات التي اعتمدت على المسح البصري للمباني التاريخية بالمنطقة المركزية لمدينة الرياض وبعض الأحياء السكنية [١٨ ، ص٢٦٢-٣١٨]. وكلف (البيني) مجموعة من المعماريين والمهندسين والمساحين والمصورين مهمة عمل الرفوعات المساحية والبصرية لبعض المباني التقليدية في الرياض كجزء من الأعمال المناطة به لإعادة تخطيط منطقة قصر الحكم والتي تضمنها تقريره الذي قدمه عام ١٩٧٤م. وقامت الإدارة العامة للآثار والمتاحف التابعة لوزارة المعارف آنذاك بطباعة ما خلفه (البيني) في كتاب عام ١٩٩٠م [١٩]. و قدم (مصلي وآخرون) عام ١٩٧٧م تقريراً عن المسح البصري للخصائص المظهرية للعمارة التقليدية في المملكة- الأقليم الأوسط[٢٠].

وأخرج (كنج) King كتابين عن العمارة التقليدية بالمملكة العربية السعودية بمناطقها المختلفة. نُشر الأول منهما عام ١٩٨٦م [٢١] وركز فيه على المساجد التاريخية في المملكة. أما الثاني فقد نشر عام ١٩٩٨م [٢٢] وتوسع فيه عن العمارة التقليدية بالمملكة

لمختلف المباني، وقد اعتمد بشكل رئيس على المسح البصري، وزياراته البحثية، في كلا الكتابين. أما (الحصين) فقد درَس النمط العمراني السائد للمنطقة المركزية القديمة لمدينة الرياض في فترة السبعينيات الهجرية من القرن الرابع عشر الهجري/الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي، وهي التي سبقت فترة التوسع وإزالة الأسوار وفتح الشوارع. وقد اعتمد في ذلك على كتابات الرحالة والخرائط الجوية وأقوال بعض الذين عاصروا تلك الفترة، و نُشر الكتاب [٢٣] في عام ١٩٩٧م. وأصدر (عثمان) كتاباً كاملاً [٢٤] عام ١٩٩٩م درس فيه عمارة بلدة سَدوس التقليدية الواقعة في قلب منطقة نجد. حيث قدم دراسةً موسعةً لتاريخها ومقومات الحضارة فيها، ووصفاً تحليلياً للعمارة التقليدية بها مع التركيز على الجوانب الإجتماعية والإقتصادية التي أثرت بشكل واضح على النسيج العمراني لها، وبإشراف (الصويان) صدرت موسوعة الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية [٢٥] عام ٢٠٠٠م في ٩ مجلدات شارك في تأليفها أكثر من أربعين متخصص. وقد أحتوى المجلد الرابع منها على مواضيع في العمارة التقليدية بالمملكة وقُدمت المادة العلمية فيها بطريقة موسوعية ووصفية مكثفة، ومطعَّمة بالصور الفوتوغرافية.

وعلى مستوى الرسائل العلمية فقد قام العديد من معديها بتقديمها في أوقات متفاوتة، وأخذ معظمها صبغة دراسة البيئة العمرانية الإسلامية بصفة عامة مثل رسالة (الهذلول) [٢٦] التي ركزت على دراسة أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية من ناحية تشكلها، ودراسة التحولات التي طرأت على تلك البيئات ومن أمثلتها البيئة العمرانية لمدينة الرياض. وقدم (العنبر) [٢٧] في رسالته عن الزخارف في المباني الطينية بمنطقة نجد وصفاً وتحليلاً للزخارف التقليدية في المباني اعتمد فيها المسوحات الميدانية والبصرية. كما نهج (الشويش) [٢٨] نهجاً مقارباً مع التوسع في الاستدلال التاريخي لدراسته الأثرية المعمارية عن المساجد الأثرية في وسط نجد. وبالمثل قدمت (البقمي) [٢٩] رسالتها عن

القصور الطينية في منطقة نجد اعتمدت فيها على المسوحات الميدانية والبصرية والكتابات التاريخية لأشهر القصور التي بنيت بالطين في منطقة نجد خلال المئتي سنة الماضية تقريباً. ومع إضافة الدراسة الشرعية على المسوحات الميدانية والبصرية قدم (المشيقح) رسالته [٣٠] عن المساجد التقليدية بإقليم القصيم الذي يشغل منطقة كبيرة من الجزء الغربي الشمالي لمنطقة نجد.

ونُشِرت أبحاث محكمة في مجلات مختلفة عن البيئة العمرانية التقليدية في منطقة نجد. منها مقالة (كليجال) Kilical [٣١]، التي أورد فيها أمثلة من التفاصيل المعمارية المحلية، معتمداً على المسوحات الميدانية في كل من الدرعية، والقرينة، وسدوس، وعرقة. واعتماداً على المسح البصري للخصائص المظهرية، قدم أمثلة[٣٢] لتوضيح ملاءمة المساكن القديمة بالمنطقة الوسطى للمناخ السائد بها. و اعتماداً على المسح البصري قارن (النويصر)[٣٣] بين النسيج العمراني- السلوكي في البيئة العمرانية التقليدية والبيئة الحديثة في المستوطنات الصحراوية من المملكة العربية السعودية. ودرس (ابن صالح) [٣٤] أصل وهوية زخرفة وتلوين الفراغات وتطورها في المنطقة الوسطى. كما درس تأثرها بالثقافة الإسلامية والبيئة المحلية ومفرداتها مثل الواحات وأشجار النخيل والكثبان الرملية وغيرها مدعماً بالصور الفوتوغرافية. كما قدمت الدراسات المحكمة في المؤتمرات العلمية عن البيئات العمرانية التقليدية، ومنها دراسة (الحصيني) التي استعرض فيها المخطط العام للبيئة العمرانية التقليدية لبلدة أشيقر اعتماداً على الصور الجوية والمسح البصري والمعايشة الميدانية [٣٥].

لقد أسهمت التقارير والكتب والرسائل الجامعية والبحوث المحكمة في إثراء فهمنا للعمارة التقليدية بمنطقة نجد من جوانب مختلفة؛ لكن الملاحظ أن معظمها اعتمد على المسوحات البصرية أو الرفوعات الميدانية. ولهذا سنحاول هنا أن ندرس جوانب من البيئة

العمرانية التقليدية اعتماداً- في الأساس- على الشعر العامي وما يمكن أن يصوره لنا – موثقاً- بالكلمات للبيئة العمرانية، مع الاستعانة بالصور والخرائط لإكمال تلك الصورة.

والعمارة التقليدية في نجد - موضوع الدراسة- تناقلت الأجيال المتعاقبة طرقها وأساليبها، وطورتها لتتناسب وظروفها، وبدأ احتضارها وموتها بسبب ظهور العمارة الحديثة. فقد انحسرت البيئة العمرانية التقليدية في مدينة الرياض مع استحداث مفاهيم وأساليب جديدة في التخطيط والبناء مع أوائل الثمانينيات الهجرية، ومع الطفرة الاقتصادية في المملكة العربية السعودية ظهرت مخططات الأحياء الحديثة متواكبة مع طرق البناء الجديدة في مدن وقرى المملكة جميعها. ولقد ظهرت البدايات على مستوى الأحياء العامة في حي الملز بالتخطيط الحديث لتقسيمات الأراضي على شكل مخططات الأراضي الشبكية مع الشوارع العريضة المتعامدة لتمكن السيارة من المرور، والتي أعقبها بفترة بسيطة البناء بالوسائل والمواد المستحدثة. وبدا ذلك واضحاً على مستوى الأحياء العامة في حي الملز الذي استخدم في إنشاء مساكنه الأسمنت والخرسانة المسلحة عوضاً عن المواد التقليدية كالطين والطوب الطيني والأسقف الخشبية [٣٦، ص١٣٩- ١٤٩].

ومع جمع المعلومات التي قام بها الباحث، فقد أمكن تصنيف القطع الشعرية لدراسة البيئة العمرانية التقليدية في الشعر العامي بمنطقة نجد بحسب الظروف الزمانية لكل شاعر وعلاقتها بتلك البيئة إلى أربع بيئات. الأولى هي البيئات العمرانية التقليدية التي عاشها أهلها حياتهم كلها. والثانية هي البيئات العمرانية التقليدية التي تذكرها أهلها بعد أن تقدم بهم العمر وأصبحوا يعيشون في بيئات حديثة. أما الثالثة فهي البيئات العمرانية التقليدية التي هجرها أهلها إلى الحديثة. والرابعة هي البيئات العمرانية التقليدية التي طالتها يد التغيير أو الإزالة بسبب المخططات الحديثة. وأمكن تأكيد بعض مفاهيم ونتائج الدراسات السابقة بطرقها المختلفة للبيئة العمرانية.

١- البيئات العمرانية التقليدية في نجد التي عاشها أهلها حياتهم كلها

وهي بيئات الحاضرة من بلدان منطقة نجد، توارثها الخلف عن السلف. وكانت بدايات انحسارها مع اتجاهات التحديث التي حصلت في المملكة العربية السعودية بعد التوحيد والاستقرار، وزيادة الدخل العام للدولة، وتبني سياسات التطوير والتحديث في جميع مناحي الحياة.

ولم يكن تدوين الشعر منتشراً آنذاك فقد اعتمد الناس على حفظه وتداوله بينهم، وقام العديد من الباحثين بجمع بعض أشعار المشهورين من الشعراء ونشرها في دواوين، ومن الرواد في ذلك خالد الفرج[١]، وعبدالله الحاتم[٢]. وسنعرض- هنا - لأمثلة من قطع شعرية تحوي مفردات ومعاني نحاول بها أن نروّضَ مخيلتنا لاتباع مخيلة المصور- الشاعر- مع تصور الزمان والمكان. ويأتي ذلك بتوظيف ذلك الشعر في تفهم البيئة العمرانية بشرح ألفاظ القطعة الشعرية وتعابيرها، وتحليل جملها وفقراتها. وسنعرض خمس قطع شعرية تمثل البيئات العمرانية التقليدية في نجد التي عاشها أهلها حياتهم كلها. الأولى لحميدان الشويعر[٣]، والثانية والثالثة لإبراهيم الجعيثن[٤]، أما الرابعة فهي لرميزان

(١) خالد بن محمد الفَرَج شاعر وأديب ومؤرخ، من كتبه (الخبر والعيان) في تاريخ نجد وما حولها، و (أحسن القصص) في تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، و (ديوان النبط) جزآن وهو مجموعة من الشعر العامي في نجد، علق عليه بتفسير ألفاظه وتراجم بعض شعرائه. توفي ولم يبلغ الستين عام ١٣٧٤هـ

(٢) عبدالله بن خالد الحاتم أديب وشاعر، من كتبه التي اشتهرت (خيار ما يلتقط من شعر النبط) جزءان، توفي عام ١٩٩٥م.

(٣) حميدان الشويعر شاعر متمكن وناقد اجتماعي ولد في القصب من بلدان الوشم بمنطقة نجد ثم تنقل في بلدانها، عاش في أواخر القرن الحادي عشر وجزءاً من الثاني عشر وتوفي سنة ١١٦٠هـ وقيل ١١٧٨هـ وقيل ١١٨٠هـ.

بن غشام[٥]، و الخامسة لعبدالله الصبي[٦].

ولقصيدة حميدان [٣٧، ص١٠٤] أهداف اجتماعية تربوية نقدية موجهة لابنه مانع، لكننا ننتقي منها ما يهمنا في هذه الدراسة. وسنحاول عبر تحليل شخصية الابن التي أراد الأب أن يصورها، أن نستنبط بعض خصائص العناصر الفراغية في البيئة العمرانية التقليدية بمنطقة نجد ووظائفها الملازمة لملامح تلك الشخصية:

مانع خيـــــــــال في الدكه ... وظفر في راس المقصـــــــورة [٧]

وإن صـــــــاح صيّاح من براً ... وابق هـــــــــو ويّا الغندوره [٨]

اليمنى فيها الفنجـــــــــال ... واليســرى فيهـــــــا البربورة [٩]

إلى ظـــهر يمَ الســـــــكه ... تاخـــذ جوخته الســـــــنّوره [١٠]

---

(٤) إبراهيم بن عبدالله بن جعيثن شاعر سدير ، ولد في التويم عام ١٢٦٠هـ وتوفي فيها عام ١٣٦٢هـ وقد عاش قرناً وسنتين. وتقع قطعته الشعرية في الريال في اثنين وثلاثين بيتاً اخترنا منها الأجزاء ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

(٥) رميزان بن غشام كان فارساً وشجاعاً وشاعراً ، و زعيماً لقومه في روضة سدير لفترات متقطعة تصل إلى ٣٠ عاماً، توفي مقتولاً عام ١٠٨٤هـ تقريباً.

(٦) عبدالله بن محمد الصبي، عرف بلقب "مبيلش" ولا يكاد يعرف إلا به، كان قد سافر إلى الكويت للعمل وعاد بعد مدة بمال وفير إلى بلده شقراء، توفي عام ١٣٧١هـ .

(٧) الدَّكه: المكان المرتفع الملاصق لجدار البيت من الخارج، يجلس عليه. وفي (اللسان) عن الجوهري: الدَّكه والدُّكَّان الذي يقعد عليه. المقصورة : المبنى الذي يتحصن فيه المدافعين عن البلد. وفي اللسان عن الليث: إذا كانت الدار واسعة مُحصّنة الحيطان فكل ناحية منها على حَيالها مَقْصُورة.

(٨) وايق: أَخرج رأسه من النافذه عدة مرات. الغندورة: وصف للمرأة في مقتبل شبابها، زوجة مانع ابن الشاعر.

(٩) البربورة: الشيشة.

(١٠) يمّ: جهة. السكَّة: الطريق. جوخته: الجوخه لباس للجسم على الثوب للدفء والتجمل، منه الطويل إلى الكعب ومنه القصير، ويكون بألوان أشهرها الأزرق والأحمر ومطرزة بالزري والحرير. السنوره: القطه.

اقصي ما يســـعد للطايـــة والمطبخ ورده وصـــدوره [١١]
وعنـــده عـــذرا مثل الحورا نوره بقـــاي البنـــوره [١٢]
في البيـــت تّعـــيزل وتْبيْزل لا قـــال الجصـّه ممخـــورة [١٣]

فمانع ابنه خيال لكن فروسيته لا تتجاوز باب البيت (في الدكة). وهو أيضاً (ظفر) أي شجاع لكنه في أعلى المقصورة جبان ؛ والمقاصير هي منشآت لتحصين المزارع والقرى والقصور، وتكون أيضاً على بوابات المدن، كما تكون منفرده على المرتفعات والممرات المحيطة بالمدن والقرى أو تلك الموصلة لها. ولقد كانت تلك التحصينات ضرورية لحماية الأهالي والممتلكات، وتتكامل مع التحصينات الأخرى مثل الحصون والقصور المحكمة المبنية من الحجارة والطين،و الأسوار المحيطة بالمدن والقرى،و الخنادق المحفورة خلف تلك الأسوار.

ويمكن أن نفهم خصائص بعض عناصر البيت الملازمة لشخصية مانع ومنها الدكّه التي هي مكان للراحة والاسترخاء. الطاية وهي ملعب الأطفال أو مكان اجتماع النساء، وربما مكان نوم الأب في المساء. والمطبخ هو المكان الذي ترتاده النساء والأطفال غالباً. كما يمكن أن نلاحظ التغير الذي نعيشه اليوم في وظائف بعض العناصر الفراغية التي وردت في القصيدة، ومن أبرزها المطبخ الذي أصبح له دور رئيس، وتغيرت النظرة إليه ليكون جزءاً رئيساً في المنزل، يرتاده أفراد العائلة بما فيهم الرجل، حيث التجهيزات التي يستطيع أن يستفيد منها مباشرةً دون حرج.

(١١) الطايه: سطح المنزل.
(١٢) عذرا: البنت الجميله. الحورا: نسبة إلى الحور العين في الجنة. البنوُّرة: الزجاج المضيء.
(١٣) الجصّه: مكان حفظ التمر .

كما يلاحظ اختفاء عناصر أخرى كانت أساسية في المسكن مثل الجصة التي حل محلها (المستودع) بتجهيزاته لتخزين المأكولات وغيرها، وتغيرٍ في خصائص عناصر أخرى مثل " السكة" وهو الطريق الضيق الذي تسلكه المارة والدواب ولا يسمح عرضه بمرور السيارات فيه، وهو ما يمكن مشاهدته اليوم في بعض الأحياء القديمة في بلدان نجد.

وتتكامل الصورة الذهنية لبعض العناصر المعمارية وبعض تفاصيل المسكن في قصيدة [٣٨، ص٧٨] إبراهيم بن جعيثن في وصف داره عندما أخبر بحاله مع رياله، الذي لم يَبُتْ في بيته، وهرب من بيته إلى بيت جاره، وذلك كناية عن فقره المدقع. ويهمنا في قصيدته تلك الأوصاف للأماكن التي في منزله:

أدخلـــــــت ريالٍ في داري ... وأوذاني من كثر صياحـــــــه (١٤)

يبي يظهـــــــــر وأنا أرده ... والباب أخفينا مفتاحـــــــــه (١٥)

ســـــكرت الكوه بشـماغي ... والباحه سدْت بالساحـــــــه (١٦)

حتى الفرجة ســـــــديناها ... بالثوب اللي في مصطاحـــــه (١٧)

اشوفه برقا ويحـــــــــول ... غدا له في الـدار رواحـــــه (١٨)

(١٤) الريال : العملة المتداولة في ذلك الوقت ويسمى الفرانسي، وهو من الفضه. أوذاني: آذاني.

(١٥) يبي يظهر: بريد أن يخرج. أرده: امنعه.

(١٦) الكوه: موضع مزلاج الباب. الباحة: صحن الدار، وفي (اللسان) باحَةُ الدار هي ساحتها، ويقال نحن في باحة الدار وهي وسطها. وفي الحديث: نظّفوا أفنيتكم ولا تدعوها كباحة اليهود. الساحه: عاميه تطلق على البطانية المصنوعة من شعر الماعز، خشنة الملمس.

(١٧) مصطاحة: المصطاح: مكان تعليق الثياب عند الدخول للدار، ويصنعونه من خشبة أثل ملساء طولها متر ونصف تقريباً، ويضعون في طرفيها حبلين ويعلقونها في السقف تتدلى لتعليق الثياب عليها (ج).

(١٨) يرقا ويحول: يصعد وينزل. رواحه: الذهاب والأياب بحثاً عن طريق للخروج.

حيث ترسم القطعة الشعرية صورة حيوية لأبرز ملامح المسكن كالفتحات، وعناصر الحركة، والفراغات المفتوحة وشبه المفتوحة، والمغلقة، والتي تتطابق مع الصورة الحسية التي وصلت لنا عبر نماذج العمارة التقليدية الحالية بدون تغيير رئيس يذكر. ومن النص يمكن تحديد مخارج وفتحات الدار كالآتي:

١- باب الدار: حيث أغلق بالمفتاح الذي أخفي.

٢- كوة الباب: تمت تغطيتها بالشماغ (غطاء للرأس).

٣- الباحة: تمت تغطيتها بالساحة (البطانية).

٤- الفرجه (النافذه): تم سدها بالكامل.

ويستنتج من هذا كثرة الفتحات في دور العمارة التقليدية وتنوع مقاساتها ومواقعها بالنسبة للمبنى والاتجاهات، وذلك لتلبية الاحتياجات الوظيفية، والاجتماعية. كما أن تلك الفتحات تحقيق لأحد المبادئ التصميمية المتعلقة بالمعالجات المناخية للبيئة العمرانية (Climate Control) و ذلك بإيجاد التهوية المستمرة للهواء خلال المبنى (Cross Ventilation) والسماح بدخول أشعة الشمس أيضاً، مع القدرة على التعامل مع تلك الفتحات لو دعت الحاجة إلى ذلك. ولقد عمل الشاعر ما بوسعه وأغلق جميع المخارج والفتحات الممكنة لداره وظن أن رياله قد نام في المصباح. لكن الريال كان يراقب بخفاء لإنه يعلم أنه لن يتمتع بالراحة فالشاعر سينفقه بسرعة:

نمت وظنيت أنه نايـــــــم هقيت إنه في مصباحـــــــه (١٩)

أثره يســـــــــبرني ويكذب يدري ما عندي له راحـــــــه (٢٠)

(١٩) هقيت: توقعت وظننت. مصباحه: المصباح الغرفة مفتوحة الواجهة التي لا باب لها والمقصود هنا مكان مبيته في السحارة التي سترد لاحقاً في قطعته الشعرية الأخرى.

(٢٠) يسبرني: يراقبني بخفاء لعله يجد فرصه للهرب.

لكن الريال خرج مسرعاً مع الميزاب (المثعب) إلى التاجر حيث المكان الذي يعلم الريال أنه المريح لنومه (مراحه). ومع تخوفه أن يفتضح أمره فقد قصد التاجر واستقر في (تيفاحه). فما كان من الشاعر إلا أن أتى بشهود أن رياله في الجرّه وأنه سيكافئ التاجر إن هو أرجعه اليه !!:

حول عَجُلٍ مع المثعـــــــب وهو يدري وين مراحـــــــــه (٢١)

كت البطحاء وهو خايـــــف والي التاجـر في تيفاحـــــــه (٢٢)

جيت شهود انه في الجـــــــره رده لي وأعطيك طراحـــــــة (٢٣)

وتظهر التفاصيل الداخلية التي تكمل الصورة السابقة في دار الشاعر في قصيدته [٣١، ص٧٨] التالية التي تدور أحداثها عن ريالين أودعهما في صندوق عنده، حيث يصور الشاعر حالة (الريالين) وكأنهما شخصان أدخلهما داره ووضعهما في (سحارته) لكن السحارة ضاقت بهما فقررا الخروج منها ومن دار هذا الرجل الهرم، وبررا عملهما هذا بأنهما سيتعرضان للأذى بين أواني تحضير القهوة (دلاله) والوجار الذي تجهّز فيه القهوة:

أدخلت ريالين عندي تهاوشوا في السحاره (٢٤)

قالوا هيا نبي نظهر ونخلي الشايب في داره (٢٥)

---

(٢١) المثعب: المرزام. مراحه: مكان نومه وهو عند التاجر.

(٢٢) كت البطحا: مشى بسرعة مع الوادي موليا. وكت من الفصيح، جاء في (اللسان) الكَتْوُ: مقاربة الخطو، و أَكْتى إذا غَلا على عدوّه، والبَطْحاءُ: مَسِيلٌ فيه دُقاقُ الحَصى. و الأَبْطَحُ مَسِيل واسع فيه دُقاقُ الحَصى. تيفاحه: التيفاح هي الجرّه التي يحفظ فيها المال.

(٢٣) أعطيك طراحه: أي أعطيك أجراً لقاء إعادته لي، وفي (كلمات قضت) الطراحة: الجُعْل، وهو المقدار من المال والجائزة التي يستحقها من يجد بعيراً ضالاً أو دابة ضائعة فيعيدها إلى صاحبها.

(٢٤) تهاوشوا: تخاصموا.

(٢٥) نخلي: نترك وندع.

ان صرنا عنده يوذينا ما بين دلاله ووجاره [٢٦]

ويمكننا فهم وظيفة (الوجار) فيما ذكره الكاظمي الذي عاش في الرياض قادماً من مكة وكتبه في مذكراته[٣٨، ص٥٤] حيث لاحظ في مجالس الدور بالرياض الآتي: "...، وجود محل صنع القهوة الذي يسمونه (الوجار) في صدر المكان، أو في أحسن زاوية من زوايا المجلس. وضع (الدلال) والتفاخر بكثرتها. إشعال النار أمام المدعوين ؛ لأن مما يؤخذ عليه صاحب الدار وصاحب الدعوة هو تقديمه الشاي والقهوة المجهزة من قبل لزائرية، بل من تمام الاحترام وكمال الإكرام أن يشعل النار أمام زائريه، ويجهز القهوة والشاي أمامهم ثم يقدمها... إجلاس أكبر الزائرين سناً ودرجة ومعرفة عند (الوجار) ثم من بعده بقية رفقائه بالترتيب، وترتيب صب القهوة على نظام الجلوس."

وفي صورة طريفة يصور الشاعر الريالين وقد نجحا في كسر قفل الباب بسبب حرصهما الشديد على الخروج من الدار. ثم أنهما مستعدان للكذب إن سألهما أحد عن سبب الخروج ،بأنه لزيارة أصدقائهما.

من حرصهن على الطلعـــــه ما بين دلالـه ووجـــــــاره [٢٧]

وان قال أحد وش هالروحـــه قلنا روحـــــــــــتنا زواره [٢٨]

لكنهما يخفيان غير ما يظهران، ولسان حالهما يقول:

(٢٦) يوذينا: يؤذينا. دلاله: جمع دله وهي الإناء التي يعمل بها القهوة. وجاره: الوجار هو المكان الذي توقد فيه النار وتعمل فيه القهوة.

(٢٧) الطلعه: الخروج.

(٢٨) زواره: زياره.

نبي مكـــــــــان يحفظهـا وســـــــــبل سد معياره [٢٩]
دونه جـــــــــدران مبنيه والباب ســـــــــتاد نجاره [٣٠]
له ســـــــــارقتين في المجرا والظبه يا قوي او ســـــــــاره [٣١]

فهما يريدان حيزاً معمارياً (مكان) يحفظهما بمواصفات محددة هي: أن جميع فتحاته مغلقة حتى تلك التي يخرج منها ماء أسطح الدار (المسيال) أو تلك التي يخرج منها الماء على مستوى الأرض (المعبار). وأما الباب فيجب أن يكون منفذاً بواسطة نجارٍ يكون (ستاد) في مهنة النجاره أي ماهر فيها، وهو ما يدعى اليوم بالمهني المختص المحترف (Professional) كناية عن المقدرة على تنفيذ العمل بالمواصفات المطلوبة بإتقان. لأن المالك سيطلب باباً بمواصفات عالية الجودة تضمن تحمله لأي محاولة للكسر أو الفتح.

ويحدد الشعر العامي مقومات البيئة العمرانية التقليدية في منطقة نجد متمثلة في سدود المياه. ونقدم مثلاً لذلك سد وادي السبعين (الشكل رقم ٢) الذي بُني في روضة سدير في منتصف القرن الحادي عشر الهجري وأشرف على بنائه رميزان بن غشام، وحصلت بعد بنائه بعض المعارضات من أهالي القرى الواقعة بعد الروضة في انحدار الوادي أدت إلى نشوب معركة كبيرة انتصر فيها أهالي الروضة بزعامة رميزان الذي قال قصيدة بعد هذه الواقعة ذكر فيها بلدته وسد السبعين [٣٩، ص٧٨] :

---

(٢٩) معباره: المعبار فتحة تكون في أسفل حائط البيت ملاصقة للأرض يخرج معها سيل ساحة البيت إلى الخارج، وسميت معباراً لأن الماء يعبر معها، وكذلك معابير النخيل التي يدخل معها السيل. وهو فصيح مأخوذ من العبور من مكان لآخر، وفي (اللسان) والمعبر ما عُبر به النهر من فُلكٍ أو قنطرةٍ أو غيره.

(٣٠) دونه : من دونه. سْتَادْ: معلم البناء ، وتطلق على الخبير المختص في مهنته.

(٣١) الظبه: الظَّبْية: الجِراب، وقيل: الجراب الصغير خاصة. وفي (كلمات قضت) قال ابن مسعر العاصمي في القهوة:

ماني بثور يدفع البـاب نطَّاح يحب مجلسها وما يشـــتريـها
لو دونها مِجْرَى وْضبّه ومفتاح قام يتحايل لين يدخل عليها

لي ديرة بنخيلها مســـــــــتظلة يشوق تقديم النضا كـــــادودها [٣٢]
يا طول ما قبلتها من فوق منشـــع محالها بالليل يســـــــهر رقودها [٣٣]
لا جا الشتاء تشرب صوافي سيولها وبالقيظ مـن جم البطاحي برودها [٣٤]
حكرنا لها وادي ســـــدير غصيبة بســـيوفنا اللي مرهفات حدودها [٣٥]
جرى لنا في مفرق الســـــيل وقعة اللي حضـــرها مالك الله يعودها [٣٦]

فالشاعر يحدد السمة الرئيسة لبلدته (روضة سدير) وهي أن النخيل تظللها. وفلاح بلدته (كادودها) يشتاق ويطرب لمشهد الإبل وهي تسحب الحبال التي تخرج المياه من البئر. ولطالما أشرف الشاعر على تلك البيئة العمرانية من فوق سفح قريب متمتعاً بمنظرها. والحركة في تلك البيئة لاتقف إذ أن الماء يُخرج من باطن أرضها حتى في الليل، حيث الأصوات النغمية التي تصدرها العجلات (المحالات) التي يمر عليها الحبل (الرشا) تسمع في ليلها الهادئ. ويستمر الشاعر في تأكيد وجود الماء الذي هو عنصر أساسي للبيئة العمرانية، ففي الشتاء يشرب أهل البلد من مياه سيول الأمطار، وفي الصيف من مياه الآبار. ولهذا فقد قاتل الشاعر - وهو زعيم قومه- من أجل الماء واستطاع أن يهزم مع جماعته خصومهم، وأن يبني سد مياه يمكن بواسطته تجميع بعض الماء، وصرف بعضه من مجراه الطبيعي إلى مجرى آخر.

---

(٣٢) يشوق: يُطرِب. النضا : الأبل . كادودها: الكادود هو الفلاح.

(٣٣) قابلتها: أدرت النظر اليها (إلى بلدته). منشع: سفح صغير يشرف على البلدة، يستريح عنده بعض أهل البلده.

(٣٤) لا جا: إذا جاء. القيظ: الصيف. جم: الماء الموجود في باطن الأرض. البطاحي: مفردها بطحاء وهي الأرض التي لا تمسك الماء بل ينزل منها إلى مصائد مياه طبيعية في باطن الأرض.

(٣٥) حكرنا لها: حبسنا لها، وفي (اللسان) الحكر، بالتحريك: الماء القليل المجتمع.

(٣٦) وقعة: موقعة. اللي: اللتي. مالك الله يعودها: مصطلح يعني أُقسِمُ بأنه لو تكرر لمن حضر الموقعة ما يماثلها فلن يحضرها لهولها.

الشكل رقم (٢). صورتان ضوئيتان لأحد سدود وقنوات المياه في البيئة العمرانية التقليدية وهو سد السبعين في روضة سدير، وقد بناه رميزان بن غشام، بعد قتال، في أواسط القرن الحادي عشر الهجري ويتناقل الرواة الشعر العامي الذي يذكر المناسبة والسد:

حكرنا لها وادي سدير غصيبة بسيوفنا اللي مرهفات حدودها

(المصدر : الباحث)

الترميم وإعادة البناء في البيئة العمرانية التقليدية في نجد

يظهر أن الحفاظ على المبنى وتعهده بالصيانة كان من عادات الناس الساكنين في المباني التقليدية، ولعل ذلك من أهم الأسباب التي جعلت تلك المباني الطينية تصمد مع السنين. ويؤكد ذلك تصدع الكثير من المباني التقليدية وتهدمها بعد أن هجرت لفترة ليست طويلة كما هو مشاهد الآن في بلدان نجد. وتتركز صيانة سقف البيت الطيني بتشبيعه بالطين لسد الفتحات أو الثغرات التي قد ينفذ منها الماء للأسفل، أما جدرانه فتكون صيانتها بملطها[٣٧] بالطين الذي قد ينسلخ منها بسبب المطر الذي يقذف به الريح على جدار المبنى. وتتعرض الجدران على الواجهتين الشمالية والغربية إلى التسلخ بفعل المطر الذي تقذفه الرياح الشمالية والغربية أكثر من الواجهتين الشرقية والجنوبية.

وكانوا إذا تقادم المبنى وتوفرت لديهم المادة يهدمونه ويبنونه من جديد بدلاً من بناء آخر في موقع جديد إذ كان يحكمهم سور البلد الذي يوفر الحماية للمنازل التي تبنى داخل نطاقه. فقد كان السور نطاقاً تخطيطياً للبلد يوفر لمن بداخله من أهلها الخدمة الأمنية كما توفر فكرة النطاق العمراني للمدن اليوم الخدمات لمن بداخله.

ونستشهد – هنا- بأبيات للشاعر عبدالله الصبي [٤٠، ص٢٠٠] وهو من أهالي شقراء من بلدان الوشم بمنطقة نجد، حيث سافر إلى الكويت ثم رجع ومعه بعض المال فرأى أن يعيد بناء داره كي تتوافق مع تطلعاته. فتعاقد الشاعر مع العمال لهدم داره الصغيرة وبنائها من جديد، لكنه واجه الكثير من العقبات فقدم لنا صورةً عن داره وحاله معها، بدأها بالأسف على داره التي سويت بالأرض و صارت كأنها ساحة (قوع). ويرى أن لا أحد يمكنه أن يمنعه من إعادة تصميم (تصريف) داره الجديدة فإن شاء عملها أحواشاً بدون أسقف (حيشان) أو غرفاً مسقوفة (مرابيع).

---

(٣٧) ملطها: من الفصيح، وفي اللسان: مَلطْت مَلطاً، وملَط الحائط مَلطاً ومَلّطَه: طلاه.

لا واحسايف داري اللي غدت قوع تلا وحوها بالعتل والفـــواريع [٣٨]

ما نيبِ عن تصريفِ داري بمنـــوع احطها حيشانِ وغـــــلا مرابيعْ [٣٩]

ولعل انتقال الشاعر إلى الكويت أتاح له الاطلاع على مبان تقليدية في البيئة العمرانية التقليدية هناك، وبالتالي رجع ومعه المال وفي ذهنه تصورات لمسكن يريد أن يحققها أوصلته لحالة تسميها الدراسات المعاصرة في مجال الإسكان عدم الرضا (Dissatisfaction) الناتج من تغير مدارك وتطلعات الشاعر وأعرافه الخاصة به (Norms Family) مع ارتفاع القدرة المالية عنده (Income)، فهو الآن ينظر إلى داره التي كان يسكنها نظرة مختلفة، وينتقدها، بل ويحدد أسباب مشاكله ومعاناته منها التي دعته للتفكير في هدمها:

دار أولـــين كنها بيـــت جـــربوع نصف مداخيلِ ونصفـِ مطاليعْ [٤٠]

أطول خشبها ما يعدّي ورى البوع وصغارها كنه عظامة كراســيعْ [٤١]

محنونين من وقت شـــداد مقطـوع ما يصلح إلا للحقق والشلاليعْ [٤٢]

---

(٣٨) قوع: وسط البيت المكشوف والمعنى أن غرف الدار وحوائطها قد هدمت وسويت بالأرض فتبقى من الدار الوسط المكشوف. (القوع). العتل: جمع عتله، اداة من الحديد أحد طرفيها عريض وحاد والآخر مدبب وحاد. الفواريع: جمع فاروع، اداة من الحديد له جهتان مطروقتان أحدهما أفقية والأخرى معاكسة لها في الاتجاه وله نصاب من خشب تستعملان لهد الدار. ويستعمل كل من العتله والفاروع لتكسير الصخور والأجسام الصلبة.

(٣٩) مانيب عن : ما أنا عن، تصريف: تصميم. حيشان: مفردها حوش، وهي الأرض المسورة بدون سقف. مرابيع: أبنية مسقوفة.

(٤٠) كنها: كأنها. مداخيل: مداخل. مطاليع: مخارج.

(٤١) كنه: كأن. كراسيع: عظام صغيرة، وفي (التاج) الكُرْسُوعُ: طَرَفُ الزَّنْدِ الّذِي يَلِي الخِنْصَرَ وهو النّاتِئُ عِنْدَ الرُّسْغِ، والجَمْعُ: كَرَاسِيعُ، ومنهُ قوْلُ العَجّاجِ: على كَرَاسِيعِي ومِرْفَقَيَّهْ.

(٤٢) الحقق و الشلاليع: أنواع من مصائد الحيوانات. محنونين: منحنين.

إن عيوب داره تتمثل في الآتي:

١- الضعف في التصميم المعماري وتوزيع العناصر: إذ إن داره القديمة صغيرة كأنها بيت جربوع معظمها مستخدم كمداخل ومخارج.

٢- رداءة مواد البناء: إذ أن غرف داره القديمة ضيقة وصغيرة؛ لأن سقفها من أخشاب لا يتجاوز أطولها (البوع). أما صغار أخشابها فكأنه بقايا عظامٍ باليه وهي متقوسة أيضاً تصلح أن يعمل بها مصائد للفئران والجرذان والطيور.

ووحدة الطول المتبعة آنذاك (البوع) ويساوي طوله تقريباً متر واحد وجزء من المتر، وهي تقريباً المسافة من طرف اليد اليمنى إلى طرف اليد اليسرى عند مد اليدين إلى النهاية بمحاذاة الكتف(٤٣). واستعمل الهمداني وحدة البوع لتحديد أبعاد بعض الدحول في نجد: "...ثم الصّمّان ومياهه وهي دحول تحت الأرض مخرّقة في جلد الأرض منها ما يكون سبعين بوعا ومئة بوع تحت الأرض وأقل وأكثر، منها دحل العيض، ومنها دحل أريكة..." [٤١].

لكن معاناة الشاعر لم تُحَل إذ أنه بعد أن بدأ في بناء الدار الجديدة ظهرت له صعوبات جديدة وهي ضعف المقاول (ابو خليل) الذي يتعامل معه. فالشاعر يرى أنه لا يقوم بعمله كما يجب بسبب عيب في كوعه ويده، و بسبب عناده وتجاهله لطلب الشاعر في أن يسرع بإنجاز العمل:

وابو خليل عُويّب الكف والكوع لاقلت عجل قال ما سمع ولا طيعْ (٤٤)

(٤٣) ومن وحدات القياس الأخرى في (معجم الكلمات): الذِّرَاعْ وطوله من نهاية الأصبع الوسطى إلى آخر المرفق، الشِّبْرْ وطوله من نهاية الخنصر إلى نهاية الأبهام (مع إفراد الأصابع) ، الفِتِرْ وطوله من نهاية السبابة إلى نهاية الأبهام (مع ابعادهما عن بعضهما).

(٤٤) ابو خليل: هو البنّاء الذي قام بإعادة بناء دار الشاعر. لا قلت: إذا قلت. عجّل: أسرع في العمل.

ولكننا يجب أن نلحظ أن الأمر – هنا - يتعلق بعقد تنفيذ بين المصمم والمقاول المنفذ من جهة واللذان يمثلهما - هنا أبو خليل - (الأستاذ) و المالك من جهة أخرى. وكثيرة هي المنازعات بين المالك والمقاول في المشاريع الحديثة التي نعاصرها اليوم، والتي تدور في أغلبها على خلافات في مدى جودة التنفيذ، وفي المدة الزمنية اللازمة للتنفيذ. والتي يُلجأ فيها الى القضاء أو إلى التحكيم (Arbitration). ونحن- هنا- نسمع في هذا النص الشعري من طرف واحد فقط، فهل كانت كف وكوع (أبو خليل) معابتين فعلاً..؟ وهل كان يتجاهل طلبات المالك في الإسراع بالتنفيذ..؟ أم أن الشاعر يقدم شكاواه ويبرر أسباب التأخير بالقاء اللائمة على الطرف الآخر، ويبعدها عنه، فقد يكون له دور في تأخير التنفيذ، ربما أنه قد أحدث ما يسبب ذلك مثل التغيير في التصميم أو في طريقة بناء أو غير ذلك. ولا نستطيع حسب المعطيات المتوافرة أن نعرف حقيقة السبب في التأخير، لكن – الذي يهمنا أن- الشاعر لم يكن راضياً عن منزله. ولعل خلفية المالك واتساع ثقافته بسبب سفره خارج نجد، جعله يطلب من (الاستاذ) أكثر مما يستطيع الأستاذ - بالتقنية المستوطنة آنذاك- أن يحققه. وتستمر مشاكل التنفيذ إلى يومنا الحاضر لكننا قد نشاهدها بصورة مختلفةً، فالتقنيات اليوم متقدمة، ولكن درجة فهم واستيعاب الناس لها بدون مساعدة -إشراف مهني متخصص- قد تولد العديد من المشاكل في طريقة التنفيذ ونتائجه.

ولقد عبر الشاعر مجازاً عن تورّطه في هذا المشروع بأنه قد شُدَّ وثاقه (الحبل مثني ومربوع) بشده (على السواعد) وإحكامْ (ليتين بتربيع)، حيث بدأ تنفيذ المشروع ولا يستطيع الإنفكاك ربما بسبب التزاماته التعاقدية، أو المالية، أو الاجتماعية. ولولا ذلك لباع داره بأسرع وقت عن طريق المزاد الذي سيقبل أي سعر يقدم فيه لداره، ويصور ذلك بقوله:

والله يا لولا الحبل مثني ومربوع على الســـــواعد ليتين بتربيــع [٤٥]
لاصيح للدلال وأعطيه منفــوع وأقول حــرّج كلمتينِ واب بيعْ [٤٦]

ولأهمية مستوى أداء الأستاذ (المصمم والمقاول) فقد أفرد الشاعر عبدالمحسن الصالح قطعة شعرية في تسعة أبيات بعنوان "الثناء والحمد" امتدح فيها الأستاذ (أبوعلي) الذي أجاد في عمله واستطاع أن يتم بناء بيت الشاعر في عنيزة بكفاءة واقتدار، [٤٢، ص٣٨٤] ومن مدحه قوله:

أشهد إن أبو علي ماله أمثــالي عاش من يمنــاه مِحْدٍ يبــاريها[٤٧]
من تولى قالته نام ما ســـــالني زال همــه والهواجيس ناسيها[٤٨]
ياولي العرش وان تقبل سوالي طِلْبتي يا واســعَ الجودْ عطنيها [٤٩]
سلّم اســـــتادٍ لنا يالولي غالي هو صْبَيْ عيوننا اللـــي يقديها[٥٠]

البيئات العمرانية التقليدية التي تذكرها أهلها بعد أن تقدم بهم العمر وأصبحوا يعيشون في بيئات حديثة:

(٤٥) يا لولا: لولا أن. الحبل مثني ومربوع: كناية عن تعقد الأمر والتورط فيه.
(٤٦) الدلال: المنادي للمزاد. منفوع: ما ينفعه، والقصد أعطيه أجرته على عمله. حَرّج: ابدأ المزاد. ابا بيع: سأبيع.
(٤٧) ماله: ليس له. من يمناه: اللتي يمينه. محد: ليس أحد. يباريها: يصل إلى مستواها في المنافسة.
(٤٨) قالته: حاجته، وهي هنا بنيان داره. سالي: ما سأل، أي يكون مطمئن البال.
(٤٩) سوالي: سؤالي. عطنيها: أعطني اياها.
(٥٠) سلّم: دعا بالسلامة. صبي: في (اللسان) الصَّبِيُّ: ناظرُ العَين. يوقيها: يقيها.

وهي تلك البيئات التقليدية التي عاش بها أهلها وتقدم بهم العمر، فأصبحت تلك البيئات جزءاً من ذكرياتهم الطفولية بحلوها ومرها. ومن أولئك الشعراء أحمد الناصر الأحمد من بريدة حيث يصف لنا البيئة العمرانية التقليدية من واقع ذكرياته التي عاشها في طفولته في تلك البيئة التي تغيرت كثيراً. فهو يخاطب رفيقة طفولته مذكراً لها أيام الصبا في دارهم التي قدم وصفاً لها وبعضاً من عناصرها [٤٤]:

نسيـتي المزح بالقـــبية ونسيتي لعبنا الطـــبّه[٥١]
نسـيتي الركض بالطـابة ليصـار بدرانا شـــبّه[٥٢]
نســيتي ازعاجنا لأمـك وهي بالـحوش منكـــبّه[٥٣]
نسيت معلف أم العـوف تصفَينـــه وأنـا أكبـه[٥٤]

ثم ينتقل خارج البيت العائلي إلى نطاق الحي السكني في البيئة العمرانية التقليدية، والذي يمكن أن ينظر إليه باعتباره امتداداً للبيت بسبب الأنشطة التي تتم فيه، حيث يلتقي الأطفال بعد العصر، يلعبون ويتشاجرون، ويمارسون هواياتهم، ومن أولئك (عزيِّز) الذي يمارس هواياته التي تدر عليه دخلاً حيث يبيع الحلويات وما شابهها على الأطفال

(٥١) القبّه: الساباط. الطَّبَّه: من لعب الصغار، وفي (كلمات قضت): تتألف من خرز كبيرة أو من حصى صغيرة مكورة في مثل حبة الفول، وهي ذات ألوان تضعها الواحدة منهن على قفا كفها، ثم تنثرها في الأرض.

(٥٢) الَطَّابَه : الكرة . ليصار : إذا صار. شبه: مناسبة، حيث تشب النار للضيوف لإعداد الأكل.

(٥٣) منكبه: من أَكَبَّ وفي (اللسان) أَكَبَّ الرَّجلُ يُكِبُّ إِكْباباً إذا ما نَكَّسَ. وأَكَبَّ على الشيءِ: أَقبل عليه ولزمه.

(٥٤) معلف: من الفصيح جاء في (المحكم) العَلَفُ: قضيم الدابة. والمِعْلَفُ: موضع العَلَفِ. أم العوف: كناية للبقرة. تصفينه: أي تصفين العلف. اكبه: أقلبه.

الآخرين من خلال (بسطته). وتتيح هذه البيئة لشاعرنا –يوم أن كان صغيراً- فرصة تقويم الآخرين فهو يرى أن (عزيز) مهذار وحديثه (ماصل) لا طعم له. كما توفر البيئة مجالاً لرياضة الجسم و نموه بتوفير المكان الآمن للعب الأطفال وحركتهم:

نســـــيتي بسطة عزيز إلي جـــا العصر بالقبه [٥٥]
نســـيتي خرطه الماصل يجيـــب الحكي من عبه [٥٦]
نســـــيتي القرية الشنه وماهـــــا البارد نقبه [٥٧]
نسيتي من كثر ركضك أنا مســـــميك بالدُبَّه [٥٨]

لقد أتاحت البيئة العمرانية التي عاشها الشاعر- في طفولته- تنمية مهاراته وقدراته وهو ما تفتقده البيئات العمرانية بالمخططات الحديثة التي افتقدت إلى توفير تلك الأماكن الآمنة بين المنازل والتي تعطي الفرصة لأطفال الحي؛ بل وحتى النساء والكبار للمشي والتنقل في أمن من السيارات. ولقد حذر العديد من الباحثين في مجال تخطيط الأحياء السكنية من مساوئ البيئة العمرانية الحديثة في هذا الجانب، على مستوى الحياة

(٥٥) بسطة : صندوق أو ما شابهه يمكن حمله لبيع الحلوى والألعاب.

(٥٦) خرطه : كلامه، المتهم فيه بالكذب أحياناً. الماصل: في (كلمات قضت): الكلام الذي لاحاصل له ، ولا روح فيه. الحكي: الكلام و في (أساس البلاغة): تقول العرب: هذه حكايتنا أي لغتنا. وامرأة حكيٌّ: حاكية لكلام الناس مهذار. عبه: في (أساس البلاغة): من المستعار: قولهم لمن مرّ في كلامه فأكثر: قد عب عبابه.

(٥٧) الشنة : القربة القديمة. وفي(المحكم): الشَّنّ، والشَّنَّة: الخلق من كل آنية صنعت من جلد. وتَشَنَّن السقاء، واشتَنَّ، واستشَنّ: أخلق. نقبّه: نكثر من شربه. وفي اللسان: القَبْوةُ: انضمام ما بين الشفتين. وفي (الصحاح): قأبت الماءَ: شربتُ كلَّ ما في الإناء. وقئِب الرجلُ، إذا أكثر من شرب الماء، فهو مِقْأبٌ.

(٥٨) الذبه : الدبور، وهو نوع من الحشرات الطائرة.

الاجتماعية وحتى الصحية نتيجة الاعتماد على السيارة في جميع التنقلات[٤٥]،[٤٦]. ودعوا إلى الاستفادة من روح الإرث التخطيطي في البيئات التقليدية لتوفير أحياء آمنة توفر الساحات والفراغات العمرانية للسكان مع الأخذ بأسباب الحضارة.

ومع غروب الشمس وإسدال الليل رداءه، يخف إيقاع الحركة في البيئة العمرانية التقليدية، لكن صغار البيت لهم عالمهم، إذ يتعاملون مع تلك الحال، بل ربما تكون فرصة لهم للهو واللعب وخصوصاً قبل أن تشتد عتمة الليل، الذي تقطعه (كحة) المؤذن قبل البدء بالنداء للصلاة، و يعرف به دخول وقت العشاء أو الفجر. وقد يحتاج أحد أفراد العائلة أن يقضي أمراً فيقوم بإشعال (التريك) المصباح الذي يضاء بالزيت أو الكيروسين، فمصابيح الكهرباء لم تكن موجودة، والكهرباء لم تصل تقنيتها بعد، فالشاعر وهو طفل –آنذآك– يستمر في وصف بيئته العمرانية بقوله:

نسيتي طيحتك بالليل وهي ظلماء وأنا السبب[٥٩]
نسيتي كحية المـــأذن قبـــــــل ما يذّن ينبه[٦٠]
نسيتي تْريكـنا المصنق نَغَســـــْله قبل ما نْشُبّ[٦١]

والذي يظهر أن البيئة العمرانية التقليدية التي عاشها الشاعر هي تلك البيئة الانتقالية التي كان الأهالي يربون فيها الماعز في البيوت التي يعيشون بها في حوش البيت

(٥٩) طيحتك: سقوطك على الأرض. انا السبَّه: أنا السبب.

(٦٠) المذن: المؤذن. يذّن: يؤذن.

(٦١) تريكنا: مصباحنا، وهو المصباح الذي يضاء بالكيروسين وعرف في الأزمان المتأخرة قبل وصول الكهرباء. المصنق: الذي ركبه الصَّنق وهو الصدأ. شبَّ: أشعل أو أوقد، وفي المثل: وان شبّوا نار زدتها حطب. وهو من الفصيح، في (اللسان): شَبَّ النارَ والحَرْبَ: أَوقَدَها.

الذي يخصص للحيوانات الأليفة والطيور. ولقد كانت تلك الحيوانات والطيور مصدراً غذائياً ومالياً لبعض أولئك الأهالي، كما كان لها دور آخر في كونها محببة للأطفال ووسيلة ترفيه، وخصوصاً عندما يكون ذلك الحيوان الأليف وليداً صغيراً يعامله الأطفال ببراءة على أنه إحدى المسليات التي ينتظرونها بفارغ الصبر:

وندعو الله يا كـــود العنز تجـــــيب وليد وتلعبْه[٦٢]

ثم يصل الشاعر إلى ما قبل الختام في قطعته الشعرية، بتعبير يوحي بالصدق مؤكداً أن الماضي الذي عاشه رغم مافيه من الفقر الشديد إلا أنه يحبه ويحب بيئته، ويقرر أنه مستعد لأن يتخلى عما يقدم له الآن من وسائل ترفيه وتسليه (للكِ الفيديو لكِ التلفاز..)، وما صاحب ذلك من مظاهر ترف – مقارنة بالماضي الذي يتذكره - وبهرجة متصنعة لا يحبها (... لكِ المكياجْ ما حبّهْ) :

نسيتي كيف أو ســفلك زمـــــــان يعلمـــــه ربه[٦٣]

حلـــو رغم الفقر بالحيل زمـــــــان راح ونـــحبه[٦٤]

نســـــــيتي ليه ما أدري دخلـــتي الوقت من جيه[٦٥]

لك الفيديو لك التلفـــاز لك المكيـــــــاج ما حـــبه[٦٦]

وتصل الحالة بالشاعر إلى أن يعبر بتنازله عن (الدنيا وزخرفها) في مقابل أن تعطيه شربة ماء – ليست من الثلاجة أو الصنبور، بل من القربة، وكأن الشاعر بذلك قد أجاب

(٦٢) ياكود : عسى. تجيب: تلد.

(٦٣) أوصفلك : أصف لك.

(٦٤) بالحيل : في (فصيح العامي) الحيل: القوة. بالحيل: بقوة . راح: ذهب وانتهى.

(٦٥) من جنبه : من جانبه، فلم تأت من الطريق الصحيح.

(٦٦) ما حبه : لا أحبه.

على سؤال يُفاضِل بين البيئة القديمة التي عاشها والبيئة الحاضرة التي يعيشها، فتكون الإجابة أكثر من حاسمة !:

لك الدنـــــيا وزخرفهــا وعطيني حضـــار من قربه [٦٧]

٣- البيئات العمرانية التقليدية التي هجرها أهلها إلى البيئات الحديثة

انتقل الأهالي من البيئات العمرانية التقليدية في منطقة نجد بعد أن توفرت لهم المخططات الحديثة، وجاء دور الشعر العامي ليعبر أصحابه الذين عاشوا معظم سنوات عمرهم في منازلهم التقليدية، ثم انتقلوا منها إلى الحديثة. وتقدم الدراسة مثالين أحدهما في بلدة (السكران) والثاني في بلدة (القرائن). ومن أولئك الذبن عاشوا في السكران الشاعر إبراهيم بن محمد السكران حيث عاش في القصر[٦٨] المعروف باسم (السكران) وكبرت به السن ثم انتقل أولاده إلى منزلهم الجديد خارج القصر، فاضطر إلى الانتقال معهم. لكنه كان يزور القصر ويتردد عليه ويتذكر الأيام الخوالي. وجاء في قصيدته التي تزيد على أربعين بيتاً[٦٩] مايلي:

---

(٦٧) عطيني: أعطيني. حضار: ماء.

(٦٨) القصر: مجموعة من المباني الطينية يربط بينها ممر أو أكثر ومحاطة بسور له أبواب. وفي (اللسان) عن اللحياني: هو المنزل، وقيل كل بيت من حَجَر، سمي بذلك لأنه تُقَصرُ فيه الحُرَمُ أي تُحْبس، وجمعه قُصُور. وفي التنزيل العزيز: (ويجْعَل لك قُصُوراً). ويروي ابن خميس في الشوارد لمحمد السديري قوله:

قَصْرٍ يذِلّكْ لا ثْقَـابِل مَبانِيْهْ خَلّه عَسى شَامخ طُوِيْلِهْ هَدَام.

ولعبدالله الصقيه قوله: اللّي يرِيْدَ الطّيْبْ يبْعِدْ عَنَ الْعَيْبْ ما ينْسِكِنْ قَصْرٍ تِبَيّنْ عَيَابِهْ

(٦٩) مفرّغة من شريط كاسيت مسجل بصوت الشاعر في حوار أجراه معه عبدالرحمن الشرهان. و تقع القصيدة في ٤٤بيتاً، أثبتنا منها الأبيات ذات العلاقة بموضوع البحث مع تقديم وتأخير.

يا قصر ابن سكران هو وين راعيك قال ارتحل والقصـــــــر خلاه ليهْ[٧٠]
يا قصر لا تبكي ايلا جيت ناصيكْ ابكـاكِ يبكـــــــــيني ولا به رزيهْ[٧١]
ويا قصر لو شديت والله ما خليكْ اني ازورك كلِ صبح وعشـــــيهْ[٧٢]
لا تحســـــبني يا قصرِ زاهدٍ فيكْ واللهِ ما ني ناسـيكِ والروح حيّهْ[٧٣]

لقد جسد الشاعر القصر وبدأ معه الحوار بسؤال يعلم الشاعر إجابته: أين مالكك؟ (راعيك) فأجاب وهو يبكي بأنه رحل عنه. فسعى الشاعر لأن يخفف من أحزان القصر، وأن يؤكد له أنه وإن انتقل (شدَّ) من القصر إلى مكان آخر فإن ذلك لا يعني الجفوة والهجران و انقطاع العلاقة بل سيظل يزوره كل صباح ومساء. و على القصر ألا يظن بأن الشاعر قد زهد فيه ونسيه، بل سيظل وفياً له مادام في العمر بقية.

و استمر الشاعر في مواساة القصر للتخفيف عنه، وكأننا به يخفف عن نفسه- وقدم له شهادته في القصر بأنه يعدل تلك العمائر الحديثة فقواعده قوية، وقد استثمر أهله فيه بغرس الأشجار، وحفر الآبار. واعتذر الشاعر عن رحيله، بأن ذلك تم بسبب رغبة أبنائه التي لا يستطيع رفضها لضعف حاله:

يا قصر يا زينك وعمري وما فيكْ تســـوي العماير والقواعد قُويَهْ[٧٤]
خلوك اهلك الليْ تشـــيد مبانيكْ يا ما غرسوا بك وحفرو كم ركية[٧٥]

(٧٠) راعيك: مالكك. خلاه ليه: تركه لي.
(٧١) ايلا: إذا. جيت: جئت. ناصيك: قاصدك.
(٧٢) ما خليك: لا أتركك.
(٧٣) لا تحسبني: لا تحسب أني. ماني ناسيك: لست بناسيك.
(٧٤)تسوى: تفوق. العماير: العمائر.
(٧٥) اللي: الذين. ركيه: بئر، من الفصيح، جاء في (اللسان) الرَّكِيْة: البئرُ تُحْفَرُ، والجمع رَكِيٌّ ورَكايا.

شـــالوني عيالي وأنا رغبتي فيكْ شالوني عيالي مع البنـــــــدرية[٧٦]
لو قلت أنا ما لآروح قالوا تخليكْ وانا كبير الســــــــن حالي ونيهْ[٧٧]

ونلاحظ أن الشاعر ركز على العنصر الإنشائي للمبنى عندما عمل المقارنة بين القصر وبين المباني الحديثة، مؤكداً قوة القواعد (Foundations) وهي الأساس الإنشائي لأي مشروع. كما نلاحظ أن هذا العنصر قد أكده شعراء آخرون ومنهم الشاعر سعد بن هدلق الذي حصل لداره التي بناها خلل أدى إلى سقوط جزء منها، فأرجع السبب في ذلك إلى أن أحداً أصابها بالعين حسداً. موضحاً قوة الأساسات التي عُملت لداره وأنها قادرة أن تقف أمام قوة مياه وادي الرِّيْمْة لكن القوة التي أوقعتها ليست مادية! وأكد الشاعر ذلك في قطعة شعرية منها [٢٤، ص٤٣٠]:

دار السَعَيْدي صاعها صـــايع البين الله يصـــــوع اللي بعينه رماها[٧٨]
الناس قالوا لي عزاهـــا على طين وأنا معي علم بقوة عـــــزاها[٧٩]
فيها من البيضاء ورا البوع ســاقين لو تعترض وادي الرمـه ما قواها[٨٠]
لا شك جاها ناقص العقل والدين خاين عهوده خاســـرٍ يوم جاها[٨١]

(٧٦) شالوني: نقلوني. البندرية: لقب لزوجة الشاعر.
(٧٧) ونيه: ضعيفة.
(٧٨) السّعَيْدي: تصغير سعد وهو الاسم الذي سماه الشاعر نفسه وعرف به في شبابه. صاعها: اصابها بعلّة.
(٧٩) عزاها: أساسها.
(٨٠) البيضاء: أرض صلبه بيضاء اللون في شقراء يصلون إليها بعد حفر متر أو اثنين بحسب الموقع . سافين: مثنى (ساف) وهو رص من الحجارة. وادي الرمه: من أكبر الأودية في الجزيرة، ويخترق القصيم بكامله. يبدأ بالقرب من المدينة المنورة ويصب متجهاً إلى القصيم، وامتداده وادي حفر الباطن.
(٨١) جاها: جاءها. خاين: خائن.

أما المثال الثاني للبيئة التي هجرها أهلها فهي بلدة (القرائن) التي انتقل أهلها إلى حي جديد، ففاضت شاعرية أحد أبنائها وهو محمد العمار بقطعة شعرية منها [٤٧، ص١٦٦-١٦٧]:

همُ جرى لي مـــع كـــــثير التنهَّات يومي تذكَـــــــرت الزمان الذي فات[٨٢]
لولا الحيا واللّـــوم لاجـــــرونَات من فوق راس كميت والناس يوحون[٨٣]

فالشاعر يتذكر ماضيه الذي عاشه فيها، ويخبرنا أنه في حاله حزن وأنين، ولولا الحيا لصعد فوق جبل كميت المشرف على البلدة وأسمع الجميع وبث شكواه التي منها:

وين القراين قبل عشرين عــامي في عام الفـِ واربعميه تمــامي[٨٤]
راحو أهلها ثم صارت هـــدامي واليوم في حيٍّ جديدِ يقيمون[٨٥]

فالشاعر يخبرنا أن السبب في حزنه هو ما حلّ ببلدته "القرائن" وبيئتها العمرانية التقليدية التي غادرها أهلها إلى حي جديد يقيمون فيه وقد كان ذلك عام ١٤٠٠هـ، تحولت بسببه إلى "هَدَام". وقد يقصد الشاعر "هدام" بمعناها المباشر أي أنها تهدمت مبانيها وجدرانها، أو أنه يقصد هدامها بمعنى فراغها لانعدام السكنى بها. ثم يبدأ الشاعر في رسم مخطط لبلدة " القرائن" بقطعة شعرية يصفها فيها ويحدد معالمها الرئيسة وذلك في ثمانية وعشرين بيتاً منها:

---

(٨٢)التنهَّات: في (اللسان) النَّهِيتُ والنُّهاتُ: الصيَاح؛ وقيل: هو مثل الزَّحير والطَّحِير؛ وقيل: هو الصوت من الصدر عند المَشَقَّة.

يومي: يوم أن.

(٨٣) الحيا: الحياء. كميت: الجبل المجاور لبلدة القرائن، وهو غير جبل كميت المجاور لبلدة مرات. يوحون: يسمعون.

(٨٤)وين: أين. القراين: بلدة القرائن.

(٨٥) راحو: رحلو. هدامي: أي متهدمة.

ذكرت سوق الوقف مع سوق درَّاج عند أهله وقت مضى قلّة حجـاج[٨٦]
يردون بيرٍ كنّـــها بســـــير هدَّاج والما الحلو من ما العليا يجيـــبون[٨٧]
وين المدْقه وين ذيـــك المجابيـــب وين العليـــــا والبني الرعابيب[٨٨]
وين البهيمي والنخيـــل المراطـيب فيما مضى يوم الفلاليح يسـقون[٨٩]
ذكرت ســـوق اللوح مانيب ناسيه والمجلس اللي يجمعون الغنم فيه[٩٠]
وباب العطيفـــه عنْه شرقٍ مواليـه منوّلٍ اهل البلد له يصـــكون [٩١]

فهناك "سوق الوقف" و "سوق درَّاج"، ومصدر الماء "بئر العليّا"، وهناك الأحياء السكنية مثل "المدَّقّة" و "العليَا"، وهناك المزارع مثل "البهيمي"، وكذلك أسواق أخرى هي "سوق اللوح" والمجلس المجاورلبيع الأغنام. وهناك سور البلدة المحيط بها و باب العطيفة الذي يقع شرق المجلس المذكور. وبهذا نستطيع التعرف على عناصر بلدة "القرائن" المحسوسة والمشاهدة.

لكننا أيضاً نتعرف من هذه القطعة الشعرية على جانب مهم في البيئة العمرانية التقليدية ألا وهو الجانب التشغيلي لهذه البلدة وإدارة الموارد فيها، ويتمثل ذلك في تطبيق مبدأ "الوقف" الذي لم يوجد في بلدان منطقة نجد وحدها بل وفي معظم البلدان والمدن الإسلامية. وفي "القرائن" تم إيقاف "تسبيل" ريع بعض النخيل لخدمة السكان وحددت

(٨٦) الوقف و درَّاج: أسماء لأسواق كانت في بلدة القرائن. فّلة حجاج: في (فصيح العامي) يسمون الجلسة الهادئة والانبساط مع الأكل فلّة أو فلّة حجاج.

(٨٧) بير: بئر. كنّها: كأنها. هدَّاج: بئر في شقراء يضرب بها المثل في عذوبة مائها. العليّا: بئر في القرائن.

(٨٨) المدَّقّه: إحدى المزارع . المجابيب: الأجزاء المغطاة من طرقات البلد. البني الرعابيب : البنات الجميلات اللاتي يأتين للسقيا أو الغسيل.

(٨٩) البهيمي: اسم لمزرعة نخيل . المراطيب : المليئة بالرطب .

(٩٠) سوق اللوح: أحد أسواق البلد . مانيب ناسيه: ما أنا بناسيه.

(٩١) باب العطيفة: الباب الرئيس في سور البلد .

الأبيات التالية مصارف ذلك الوقف في : دلو البئر للغسيل وغيره، القربة للشرب، سراج المسجد، عابر السبيل، مؤذن المسجد، إمام المسجد (المطوَّع)، الصوام:

أســـــبالهم عدَّة نخيل توالا للدّلو والقرية وســـــرج تلالا[٩٢]

والضيف والمذّن يذكره تعالى ومطوَّع المسجد وللّي يصومون[٩٣]

ولقد درس مجموعة من الباحثين "الأوقاف" في البيئات العمرانية التقليدية، وقدمت كأحد الحلول القابلة للتطوير في الوقت الحاضر للتعامل مع مشاكل التمويل في البناء والتشغيل والصيانة في البيئة العمرانية الحديثة. من تلك الدراسات دراسة (طاشكندي). التي استعرض فيها بعض وصايا الأوقاف في بلدة (أشيقر) التي كانت تصرف أوقافها على العديد من المستفيدين مثل الصوام، و عمار المساجد، و الأئمة، و المسارج، و الأضياف، و السقي، وصيانة النخيل وغيرها.

إن التجربة التي عرضناها في (السكران) و (القرائن) المتمثلة بمغادرة الأهالي إلى أحياء جديدة تكررت في بلدان كثيرة بعد ظهور المخططات الحديثة، ورأينا في النص الخاص ببلدة "السكران" كيف أن الشاعر وهو كبير في السن عانى من الضغط الاجتماعي (Social Pressure) حيث أصر أبناؤه – حرصاً منهم لأن يكون معهم - أن ينتقل معهم، وهددوه بتركه. ولهذا هجرت شقراء، السكران، والقراين، وأثيثية، وجلاجل، وغيرها ما يشبه الاجتثاث (شكل رقم ٣). مع أن بعض الدارسين يرى أنه كان من الممكن تحسين تلك البيئات العمرانية التقليدية وتحديثها، وأن الارتباط بها والحفاظ عليها لا يمكن أن يتم بمعزل عن تأهيلها للسكن فيها وبغير ذلك فستكون سجينة في متحف التاريخ..! . وهاهو

(٩٢) أسبالهم: جمع سبل وهو الوقف. توالا: أي يهتم بها وتتعهد. تلالا: تضيء و تنير.

(٩٣) مطوّع المسجد: إمام المسجد. للّي: للذين.

الشكل رقم (٣). صورتان ضوئيتان لبيت في إحدى البيئات العمرانية التقليدية (بلدة شقراء) التي هجرها أهلها إلى البيئات الحديثة، فأهملت وتهدمت.

(المصدر: الباحث).

الشاعر حمد الدعيج في شعره العامي (الحر) يبكي على ديرته (مرات) في قطعة شعرية منها [٤٤، ص ٤٨- ٤٩]:

بقايا ديرتي تحكي .. تقل هيكل تقل تمثال! ..
غدت مثل الحزن تبكي .. تركنا بيوت حارتنا ..
بكيت وهلّت الدمعة .. نسنا اللي سكن فيها ..
عقب ما شفت ديرتنا .. ونسينا ايام عشرتهم .
عقب ما شفت بيت الطين .. ولا لي بالقدر حيله ..
سوى الدمعه مع الموال ..

٤- البيئات العمرانية التقليدية التي طالتها يد التغيير أو الإزالة بسبب المخططات الحديثة

ولئن كانت البيئة العمرانية التقليدية في قصر (السكران) وفي بلدتي (القرائن) وفي (مرات) قد هجرت إلى بيئة عمرانية جديدة، فإن العديد من البيئات العمرانية التقليدية في معظم مدن وبلدان منطقة نجد تعرضت للتغيير. وكان ذلك استجابة للإمكانات التي قدمتها المدنية الحديثة والاستفادة من معطياتها. فقد أوصلت الكهرباء - التي لم يعد الاستغناء عنها ممكناً- إلى تلك البيئات، كما أوصلت أنابيب مياه الشرب للمنازل في تلك البيئات (شكل رقم ٤). لكن موجات التغيير ضربت بعض أجزاء تلك البيئات بهدمها لشق الشوارع المسفلتة فيها. ومن البيئات العمرانية التقليدية التي طالتها يد الإزالة، وتأثر بذلك أهلها بلدة (البدائع) بمنطقة القصيم، حيث هدمت مزرعتهم الجميلة (سمحة) في ٢٠ رجب ١٣٩٦هـ بسبب أعمال التوسعة الحديثة. و قدم لنا صالح الجهني (المتوفى عام

١٤١٧هـ) قصيدته فيها [٤٥ ، ١٦٨][٩٤]، واصفاً موقعها، ومعدداً مزاياها، ومؤرخاً باليوم والشهر[٩٥] تاريخ هدمها:

ذكرت لي قول يردد من ســـــنينْ يدعي به لسمحــه واللي بناها [٩٦]
من عقب ما هي ظل للمستظلـينْ اليوم تطرد شمسها من وطاها[٩٧]
البقعة اللي عن يمين المصـــــلينْ تالي نهار الســبت هدوا بناها[٩٨]
هدوا بناها في رجب يوم عشرينْ عفافهم قلّع حـــوامي لزاها[٩٩]

ويستمر الجهني يرسم لنا صورة ذهنية لعناصر (سمحة) وما حل بها. فأعمال الهدم طالت مقصورتها التي قد قُضي عليها بـ (الدركتر). وحابوطها قد أهين، كما طال الهدم مُصلاّها الذي عُمِرَ سنينَ طويلة بالنساء المصليات. إن "سمحة التي كانت مكانا للقاء والترفيه بل وأكثر من ذلك.. ذُبحت –على حد تعبير الشاعر كما لو تذبح راحلة الحج بعد الفراغ منه! (شكل رقم ٥):

(٩٤) الأبيات التي نشرت من القصيدة هي الأول، ومن الثاني وحتى الخامس في البحث المشار إليه في المراجع ، أما الأبيات الأخرى فمختارة من نسخة البحث الأصلية لدى الدكتور صالح الهذلول.

(٩٥) لعل السبب الرئيس في تحديد اليوم والشهر دون السنة هو أن الشاعر قد ألقى هذه القصيدة في نفس السنة (١٣٩٦هـ) التي هدمت فيها (سمحة).

(٩٦) سمحة: هي مزرعة سمحة من أهم وأقدم معالم بلدة البدائع بالقصيم، ولقد دفنت بئرها الأولى وهدمت مقصورتها وحابوطها، وقطع بعض نخيلها بسبب توسعة الشوارع المحيطة بها في عام ١٣٩٦هـ.

(٩٧) من عقب: من بعد أن. وطاها: وطئها.

(٩٨) البقعة: من الفصيح، وفي (التاج): قِطْعة من الأَرض على غير هيئة التي بجَنبها، والجمع بُقَع وبقاع. البَقْعةُ والبُقْعةُ.

(٩٩) هدّوا: هدموا. عفافهم: الدركتر .قلّع: من الفصيح، وفي (اللسان) القلعُ: انْتِزاعُ الشيء من أَصله. حوامي: حمى. لزاها: اللِّزا هو المكان الذي تصب فيه غروب الماء بعد إخراجها من البئر، ومنه ينتقل الماء إلى الجابية ثم إلى الزرع بعد امتلاء الجابية.

الشكل رقم (٤). صورتان ضوئيتان لإحدى البيئات العمرانية التقليدية بمنطقة نجد التي استفادت من معطيات المدنية الحديثة مثل الكهرباء والمياه، لكنها تعرضت للتفكيك في نسيجها بسبب أعمال الهدم لشق الشوارع المسفلته خلالها.

(المصدر: الباحث)

مقصورته طاحت عل] البير من حينْ جاها الدركتر أحمر الموت جـاها [١٠٠]
حابوطها يا عبيد من عقبكـــم هينْ والمصلى اللي عمرته نســـــاها[١٠١]
لو أنك حي ما لقــيت من الأثـنينْ اللي يخدل ذكركم يا زهـــــاها[١٠٢]
سمحة ملاعبنا وحـــــنا صغيرينْ سمحة لنا ظل وحنا رجـــــاها[١٠٣]
جزار حول الحـج ذبح ســـــكينْ هذي طبايعنا ونالت جـــــزاها[١٠٤]

ويحدد الشاعر البئر كعنصر مهم في البيئة العمرانية لسمحة، وهو الذي يسقي نخيلها وأشجارها. ومن ثم يقدم مفهوماً وحلاً تخطيطياً ينادي به الكثير من المخططين في إعادة التأهيل العمراني (Urban Renewal) وذلك بالتعامل مع مكونات وعناصر البيئة العمرانية والحصول على حلول تخطيطية أثناء عمليات التأهيل بأقل الأضرار المتوقعة، فإزالة جزء من بيت سكني أخف ضرراً من إزالة مرفق عام أو شبه عام يستفيد منه أغلب السكان. ويقدم الشاعر مقترحه الذي يرى أنه كان من الممكن الأخذ به للحفاظ على (سمحة):

لو انهم لفّوا عن البير بوعـــــينْ تسلم لنا سمحة ونقطف جناها [١٠٥]

(١٠٠) مقصورته: مقصورة سمحة. طاحت على: سقطت على. جاها: جاءها. الدركتر: الجرافة. أحمر الموت: كناية للموت المحقق.

(١٠١) حابوطها: قناة مائها الذي ينتفع به المارة والدواب ، و هو حوض شبيه بالبركة يدخله الماء من جهة ويخرج من الجهة الأخرى بحيث يتجدد بشكل مستمر، ولكنه يبقى بركة ممتلئة بالماء حتى في حالة توقف تدفق الماء اليه.

(١٠٢) الأثنين: يقصد بهما الحابوط و المصلى. زهاها: زهاؤها.

(١٠٣) حنا: نحن. صغيرين: صغار. رجاها: رجاؤها.

(١٠٤) جزا: جزاء. رحول: راحلة، وهي الناقة.

(١٠٥) لفّوا : حرفوا. ولف الشارع يميناً أو شمالاً انحرف وانحنى، وملف الطريق منحناه.

الشكل رقم (٥). تصوير جوي لبلدة البدائع عام ١٩٧٦م بعد أن تمت إزالة أجزاء من المباني في البلدة بغرض شق الطرق للسفلته. ويظهر في الدائرة الصغرى مسجد البلدة، كما يظهر في الدائرة الكبرى الأجزاء المتبقية من مزرعة سحة التي هدم حابوطها وبئرها. وقد وصف (الجهني) المزرعة وأرخ لأعمال التغيير التي طالتها بقطعة شعرية منها:

من عقب ما هي ظلي للمستظلين — اليوم تطرد شمسها من وطاها
البقعـة اللي عن يمين المصلـين — تالي نهـار السبت هدوا بناها
هدوا بناها في رجب يوم عشرين — عفّافهـم فلّع حوامي إـزاها

(مصدر الصورة: وزارة الشؤون البلدية والقروية – إدارة المساحة.)

أي أنه لا اعتراض على عمليات التأهيل للبيئة العمرانية بمد الشارع الأسفلتي الذي كان ضرورة لوصول السيارات إلى المناطق السكنية وغيرها وإزالة المباني القائمة، لكن ذلك كان من الممكن أن يتم مع الحفاظ على البئر الرئيس لسمحة وذلك بالالتفاف البسيط عن موقع البئر. وبذلك نتمكن من الحفاظ على (سمحة) مع تحقيق الهدف التخطيطي في عبور الشارع إلى الجهة الأخرى.

الخلاصـــــــة

تركزت أعمال العديد من الباحثين في الدراسات للبيئة العمرانية التقليدية في نجد على اجراء الزيارات، والمسوحات الميدانية، والبصرية. لكن هذه الدراسة طرحت إمكانية دراسة البيئات العمرانية التقليدية بالأستقراء المباشر من الشعر العامي الذي قرضه الشعراء الذين عاشوا تلك البيئات التي استوعبت احتياجات السكان، وجاءت نتيجة التجربة والتواصل بين الأجيال. فكما أن تلك البيئات العمرانية تعتبر ارثاً لتجارب وخبرات الشعوب، فكذلك الآداب الشعبية التي تصف لنا التراث العمراني لتلك البيئات مثل: الشعر العامي و الأمثال الشعبية والقصص وغيرها من المأثورات الشعبية.

والشعر العامي مثل الفصيح تتعدد أغراضه من مدح، ووصف، وغيرهما، وله في منطقة نجد أهميته إذ أنه أحد المصادر المهمة التي يمكن أن يُعرف من خلاله الأحداث التاريخية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لوسط الجزيرة. و تبيَّن من الدراسة إن الشعر العامي كان قادراً على تقديم البيئات العمرانية التقليدية بصورةٍ نابضة بالحياة لما فيه من جمال التعبير، وخيال التصوير، وقوة التأثير، ولأنه يلقي ضوءه على البيئة العمرانية وعناصرها المختلفة ويكشف عن جوانب خفية فيها، كما أنه ثري بالكلمات والعبارات التي تقود إلى البحث والتفصيل، وإلى إمكانية إجراء الدراسات المقارنة بين البيئات

العمرانية التقليدية من جهة والبيئات الحديثة من جهة أخرى. وإن توظيفه والانتفاع به للحصول على معلومات عن البيئة العمرانية التقليدية يجعله وثيقة تاريخية فنية مهمة، تنقل لنا عناصر البيئة التقليدية سواء بوصف، أو تحديد لموقع أو غيره.

ولقد أمكن عن طريق هذه الدراسة تقديم أمثلة من الشعر العامي تصنّف البيئات العمرانية التقليدية في نجد بحسب الظروف الزمانية لأهلها وعلاقتهم بها إلى أربع بيئات: البيئات العمرانية التقليدية التي عاشها أهلها حياتهم كلها، و البيئات العمرانية التقليدية التي تذكرها أهلها بعد أن تقدم بهم العمر وأصبحوا يعيشون في بيئات حديثة، و البيئات العمرانية التقليدية التي هجرها أهلها إلى الحديثة، و البيئات العمرانية التقليدية التي طالتها يد التغيير أو الإزالة بسبب المخططات الحديثة. وأمكن تأكيد بعض مفاهيم ونتائج الدراسات السابقة بطرقها المختلفة للبيئة العمرانية.

و تؤكد الدراسة إمكانية الاستفادة من الشعر العامي بصفة خاصة و الأدب الشعبي بصفة عامة وتضيف لبنة في مجال الدراسات التخصصية التي توظف الأدب الشعبي بمعطياته المختلفة من شعر، وأمثال، وقصص، وحكايات، في منطقة نجد. ولأن لكل منطقة خصوصيتها ولهجاتها العامية المتوارثة ومخزونها الثقافي الشعبي والفني والمعماري، فإن ذلك مشجع للباحثين فيها للكشف عن خصائص بيئاتها العمرانية التقليدية، وذلك بتوظيف الأدب الشعبي لفهمها واستيعابها وربطها بمحيطها الاجتماعي والثقافي وإبراز أوجه التغير فيها. ومن المفيد الإشارة إلى الصعوبات التي واجهتها الدراسة، وقد يواجهها الآخرون، وتركزت في صعوبة الحصول على المعلومة المناسبة لموضوع الدراسة من جهة، وضرورة فهم كلمات الأبيات من جهة أخرى. ولهذا فإن الدراسة تؤكد أهمية المأثور الشعبي وتجميع المتبعثر منه، ولمّ شتات الناقص منه بالجهد والمتابعة، ليأخذ حقه من الجمع والتوثيق والشرح خدمة لهذا الجيل والأجيال القادمة .

والمراجع

معاجم اللغة العربية (الفصيح)*

- ابن منظور، محمد بن مكرَّم (ت٧١١هـ). *لسان العرب*. بيروت: دار احياء التراث العربي. الطبعة الثالثة . ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ). *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق مجموعة من المحققين. الكويت: وزارة الإعلام. في أعوام متفرقة.

- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ). *أساس البلاغة*. تحقيق عبدالحيم محمود. القاهرة: احياء المعاجم العربية. ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

- ابن سيده، علي بن اسماعيل (ت٤٥٨هـ). *المحكم والمحيط الأعظم في اللغة*. تحقيق مجموعة من المحققين. القاهرة: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية. في أعوام متفرقة.

- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ). *الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين. الطبعة الثالثة. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

معاجم اللغة العربية (العامي)*

- العبودي، محمد بن ناصر. *كلمات قضت- معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت*. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز (١٣٢). ١٤٢٣هـ.

- السويداء، عبدالرحمن بن زيد. *فصيح العامي في شمال نجد*. الطبعة الأولى. الرياض: دار السويداء للنشر والتوزيع. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- المانع، عبدالرحمن بن عبدالعزيز. *معجم الكلمات الشعبية في نجد- منطقة الوشم*. الطبعة الأولى. الرياض: المؤلف. ١٤١٨هـ.

- الواردة في حواشي الدراسة.

المراجع

[١] ابن خميس ، عبدالله محمد. *الأدب الشعبي في جزيرة العرب*. ط٢، الريا ض المؤلف ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

[٢] الحامد، عبدالله . *الشعر في الجزيرة العربية- نجد والحجاز والإحساء والقطيف خلا ل قرنين: ١١٥٠- ١٣٥٠هـ* . الرياض : دار الكتاب السعودي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

[٣] الصويان، سعد العبدالله. الشعر النبطي – *ذائقة الشعب وسلطة النص*. بيروت : دار الساقي، ٢٠٠٠م .

[٤] المقالح، عبدالعزيز. *شعر العامية في اليمن* . بيروت: دار العودة، ١٩٧٨م .

[٥] السويداء، عبدالرحمن بن زيد. *نجد في الأمس والقريب – صور وملامح من أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين عامًا* . الرياض : دار العلوم.

[٦] اليوسف، سعود بن عبدالرحمن. *أشيقر والشعر العامي: توطئة بقلم أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري* . الرياض : دار العلوم ١٤١٦هـ.

[٧] الويحان، عبدالله. *روائع من الشعر النبطي – تقديم حمد الجاسر*. القاهرة : مطبعة المدني – المؤسسة السعودية بمصر (د.ث).

[٨] صالح، أحمد *رشدي*. *الأدب الشعبي*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثالثة. ١٩٧١م.

[٩] الجنيدل، سعد بن عبدالله. *الساني والسانية*. الرياض جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية . ١٤٠٨هـ .

[١٠] العبودي، محمد بن ناصر. *مأثورات شعبية*. الرياض : الجمعية العربية السعودية للتراث والثقافة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

[١١] العبودي، محمد بن ناصر. *كلمات قضت – معجم بألفاظ اختفت من لقتنا الدارجة أو كادت*. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز (١٣٢) . ١٤٢٣هـ .

[١٢] السليمان، خالد بن أحمد. *معجم مدينة الرياض*. ط٢، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز – مكتبة الدارة المئوية : ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

[١٣] السدحان ، مساعد. " شواهد العمارة التقليدية في الأمثال الشعبية بمنطقة نجد". *مجلة الدارة، دار الملك عبدالعزيز*، الرياض. م٣، (١٤١١هـ / ٢٠٠٤م)، ٥٣- ٨٢.

[١٤] ابن خميس، عبدالله . *المجاز بين اليمامة والحجاز*. الرياض: الفرزدق للطباعة. ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

[١٥] السويداء، عبدالرحمن بن زيد. *الحضارة النجدية – إيجابيتها وسلبياتها*. الرياض: دار السويداء للنشر والتوزيع. ١٤٢٢هـ / ١٩٩٠م.

[١٦] السويداء، عبدالرحمن بن زيد. *الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد- من بداية القرن الأول حتى نهاية القرن العاشر الهجري*. الرياض: دار السويداء للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ / ٢٠٠٢م .

[١٧] الحمدان، محمد بن عبدالله. *صبا نجد – نجد في الشعر والنثر العربي*. الرياض دار الجسر للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

[١٨] دو كسيادس، مؤسسة. الريا ض الوضع الراهن – تقرير حضلار لوزارة الداخلية للشئون البلدية- المملكة العربية السعودية. بدون: مؤسسة دوكسيادس – مستشارون في شئون التنمية والاكستس. ١٩٧٠م .

[١٩] البيني، ماركو. *العمارة التلقيدية في المملكة العربية العسودية- المنطقة الوسطى-* . ترجمة : الدكتور أسامة الجوهري. الرياض: الإدارة العامة للآثار والمتاحف- وزارة المعارف. ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. وصدرت الطبعة الثانية من الكتاب بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م عن وكالة الآثار والمتاحف – وزارة المعارف.

[٢٠] مصلى، محمد سعيد وآخرون. *التعرف على النمط العمراني في المملكة العربية السعودية- الاقليم الأوسط*. لندن : مصلي – شاكر – منديلي معماريون ومخططون . ١٩٧٧م.

[٢١] King, G. *The Historical Mosques of Saudi Arabia.* London: Longman Group UK Limited. 1986.

[٢٣] King G. *The Traditional Architecture of Saudi Arabia*. London: I.B. Tauris & Co. Ltedd. 1998.

[٢٣] الحصّين محمد بن عبدالرحمن . *البنية العمرانية لمدينة الرياض في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري*. الرياض: المؤلف. ١٤١٧هـ .

[٢٤] عثمان، محمد عبدالستار. *عمارة سدوس التقليدية: دراسة أثرية معمارية – دراسة حالة*. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع . ١٩٩٩م .

[٢٥] الصويان، سعد العبدالله (المشرف العلمي ورئيس هيئة التحرير). *مجموعة الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية- مجلد ٤ :* العمارة: الرياض: دار الدائرة للنشر والتوثيق. ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

[٢٦] Al-Hathlou, S. "Tradition, continuity, and Change in the Physical Environmen," *Ph.D. Dissertation. Cambridge*, Mass: M.I.T., (1981).

[٢٧] العنبر، علي بن صالح عطا الله. "الزخارف في المباني الطينية بمنطقة نجد ". *رسالة ماجستير*. الريا ض قسم الآثار والمتحف بكلية الأداب، جامعة الملك سعود(١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

[٢٨] الشويش، سعود فهد محمد. "مساجد اثرية من وسط نجد- دراسة أثرية معماريةٌ . *رسالة ماجستير*. الرياض : قسم الآثار والمتحف بكلية الأداب، جامعة الملك سعود (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) .

[٢٩] البقمي، موضي بنت محمد." *القصور الطينية في منطقة نجد (دراسة أثارية معمارية)* من ١١٥٧- ١٣٧٣هـ / ١٧٤٤- ١٩٥٣م".

[٣٠] المشيقح، عبدالسلام بن محمد. " العوامل المؤثرة على تكوين العمارة التقليدية في منطقة القصيم في القرن الرابع عشر". *رسالة ماجستير*. الرياض: قسم الآثار والمتحف بكلية الأداب، جامعة الملك سعود. ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

[٣١] Kilical, A. "Indigenous Details: Case Study in Central Saudi Arabia", In: *Journal of King Saud Universtiy*, Vol. 1, (1410/1989), 83-92.

[٣٢] Kilical, A. "Vemacular Approach to Climatic Variables in Central Saudi Arbia". In: *Journal of King Saud University*, Vol. 2, (1410/1990), 99-117.

[٣٣] النويصر، محمد عبدالله. " المبادئ الجوهرية في النسيج العمراني- السلوكي الحديث في المستوطنات الصحراوية من المملكة العربية السعودية". *مجلة جامعة الملك سعود، كلية العمارة والتخطيط*، الرياض. م٣، (١٤١١هـ / ١٩٩١م)، ٥١- ١١٠.

[٣٤] Eben Saleh, M. "Architectural Decoration in Traditional Houses of Central Region of Saudi Arabia: *Sympolism, Abstraction and Tradion", In: Journal of King Saud university*, Vol. 13, (1421/2001), 51-88.

[٣٥] الحصيني، عبدالرحمن عثمان. " نحو مفاهيم عمرانية أصيلة- ظاهرة أشيقر" في *ندوة : نحو مفاهيم بديلة ومبادئ مستقبلية للعمارة والعمران في العالم العربي*. تونس ، ١٩٨٩م.

[٣٦] الهذلول، صالح علي. *المدينة العربية الاسلامية – أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية الاسلامية*. الرياض : المؤلف . ١٤١٤هـ

A Study of Traditional Built Environments through Popular Poetry in Najd Region, Saudi Arabia

Mosaid A. Al-Sadhan

Assistant Prof., Department of Architecture and Building Sciences, College of Architecture and Planning, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.

(Received 25/12/1425 ; accepted for publication 17/4/1426)

Abstract. Traditional built environment has been the focus of a great deal of research. One of the regions that received attention is Najd Region in Saudi Arabia. Most of the research that was conducted in this region was in the form of dissertation theses and research papers, by architects and planners. These studies utilized physical and visual surveying in addition to written and verbal historical data. The author proposes a tool that has not been sufficiently utilized, namely local traditional poetry, which can supplement other tools in studying and analyzing traditional built environment and its socio-cultural context.

Traditional poetry, written in local dialects, embodies and expresses local culture. It is an important art form that documents local culture, and paints vivid images of the built environment. Its rich vocabulary and free nature, operating outside the formal context of the classical Arabic language, gives it liberty to express, in vivid details, the built environment and its context. This quality also makes this poetry difficult to understand for people not familiar with local dialects.

Through this study, the traditional built environment in Najd has been classified into four types, according to their time frame and socio-cultural context. The first type is the traditional built environment in which poets have lived all their lives; the second one is the environment that became a history and it is remembered by aged poets who now live in a modern built environment. The third type is the environment that was totally abandoned, while the fourth one is the environment which has been changed or removed, due to the introduction of new forms of land subdivision. This classification provides an opportunity for understanding the traditional built environment in Najd region and the changes it went through.

The study proposes another tool for studying architectural and planning phenomena, by analyzing poetry, proverbs and folkloric tales. All regions in the world that have their own distinct dialects and cultural heritage. Therefore, these tools provide a good opportunity for researchers to document, explore and analyze traditional built environments.